# اثنا عشر ربيعاً

**الإهداء:**

**إلى أمي التي نسجت بيديها الدافئتين كلمات من صوف تدفئ بها كلماتي المرتجفة على مرّ السنين.**

**وبدل أن يبقى اسمها نقشاً عادياً تحمله هويتي أردته زخرفة لأول صفحات كتابي...**

**شكر خاص إلى:**

- إياد الشامي: ( الصوت الحر للثورة في اليوتيوب)
- الدكتور محمود الآش (دكتور لغة عربية)
- أستاذي أحمد إبراهيم وزوجته نور إبراهيم
- وفاء الصالح معلمتي وقدوتي
- لبنى إبراهيم: طبيبتي

# مقدمة

## اثنا عشر ربيعاً

**كتاب قصصي عن اثنتي عشرة مدينة سورية مستوحاة من قصص واقعية لأشخاص حقيقين تحكي بسطورها المعدودة تفاصيل بسيطة عن حب و حرب وحكايات أمل بوطن حر بلا بطش الأسد. ما كانت ثورتنا هذه ثورة باطل بل ثورة حق بكل ما فيها من أحداث ويمكن الجزم بأن لكل عائلة سورية غصن متين يتمثل في شهيد أو معتقل ومعتقلة، مهجر و نازح عانى ما عاناه من تشرد أو أسى سواء كان داخل سورية أو خارجها، ولا يسعنا في السنة الثانية عشرة إلا أن نخلّد ذكراهم في سطور أقل ما يقال عنها أنها بطولات راسخة بكل ما تحمله الحروف من معانٍ.**

**هبة الله العيسى**

**2023**

# درعا (بين لذة البداية وألم الختام)

لأن للبدايات صدقاً كاملاً، ولأن البدايات وحدها قادرة على إثبات الموقف بكل حقيقته وكل أهدافه، انتفضت الثورة السورية من درعا واختارتها وطناً صامداً حراً تنبثق منه نوراً صاعداً في الأفق، يخبر العالم أجمع أن السوريين في ظلم يخنق قلوبهم ويحوطهم بكل ما أوتي من عزم وإصرار، ظلم يتوج على أنه العدل بذاته و أنه النهج الوحيد الذي يسير في سورية كلها...

هدوء عمّ المكان وصراخ يعلو في قلب كل حر ثائر ما رضي بالهوان والذل، ما رضي بانتهاك أعراض المسلمين ولا بقتل أهله وشعبه، شيء ما يشبه هدوء ما قبل العاصفة، شيء يجول في القلوب والعقول، كلمة باتت حبيسة في الصدور تخدش وتجرح وتخنق، تريد الفرار من سجنها العميق الذي باتت تموت فيه وتحيا على أمل أن تنال مبتغاها، كلمة أعمق من أن تصفها لغة وأبلغ من أن تختصر في حروف "حريّة"...

حرية رأي وقلب وشعب وثورة كاملة انتفاضاً لاعتقال 15 طفلاً وإقصاء أحلامهم وآمالهم بعيداً في سجن يدور بين جدرانه كل أنواع الأذى والتعذيب، كل أنواع الضرر بأجسادهم الصغيرة، تلك التي لا تقوى على رد الأذى، تلك التي ليس لها إلا أن تكتب في قلم ودفتر حكاية أخرى من حكايات الظلم الذي فتك بهم وأودعهم في غيابات جب الموتى بين كثر من الشهداء لا يسعنا أن نقول في حقهم إلا أن الله اختارهم واصطفاهم ليسلبهم دنيا ويمنحهم جنة يحيون فيها حياة لا تكدير فيها ولا إجرام، أطفال شجعان ما كان منهم إلا بعض كلماتٍ عبروا بها عن مطالبهم "إجاك الدور يا دكتور"، أطفال أحرار اختاروا الموت في سبيل حرية الرأي وحرية التعبير وحرية اختيار انتماء لوطن خالٍ من أشكال العبودية المطلقة لآل الأسد، لوطن أقل ما يقال به أنه ثروة عالمية كبرى تُسلب لتشبع نفوسهم المتعطشة لنهب البلاد...

حشود وناس كثر اجتمعوا في ساحة واحدة في يوم جمعة "الكرامة" يهتفون بنداء واحد، بكلمة واحدة وبمطلبٍ واحد... أن يرحل هذا النظام القمعي، وأن يستلم مكانه شخص يستحق أن يحمل الأمانة.

"و يلا ارحل يا بشار"...

"الشعب يريد إسقاط النظام"...

الشبان متراصون كالبنيان المرصوص والقلوب تخفق بالحرية الثورة تتملك الأبدان، والعزيمة تدفع بهم بصوت واحد. الإخلاص والنية في الثورة، الرفض للظلم، والرغبة

بالتغيير والشجاعة والبسالة في موقف التصدي، كلها عوامل للانتفاض، عوامل للاستمرار في تفجير الغضب من قلوب السوريين الأحرار؛ لينالوا بعد كل هذه الأماني أمنية واحدة تتمثل في خلاص الشعب من معيشة ضنك، كل ما فيها يدعو للألم وكل ما ينال منهم هو أسى وبغض وحياة مشؤومة يجوب في شوارعها شيء بغيض يتلخص في اللا استقرار.

أذكر أن انتفاضتنا الأولى يعلوها الأمل، يملؤها فرح عارم بأن الخوف قد هرب منا وبات بعيداً عن قلوبنا، كنا نهتف بكل ما أوتينا من قوة، نصرخ وندع حناجرنا الملتهبة تغدو أقوى ليلتئم جرحها النازف، جرحها الذي يسكب الدم في جوفنا فيجعل صوتنا أقوى صوت تعلوه الحرية بكل تفاصيلها.

في رد ملتهب ممتلئ بنيران غيظ، تفرق المتظاهرون بحثاً عن أمانٍ يضم شتاتهم المبعثر، في خوف من رصد رصاص بندقية احتمى البعض بالبعض، وهم عُزّل بلا سلاحٍ، عراة الصدر، يجوبون ساحات حرب بدؤوا بها سلميةً لتنال المفاجأة منهم بإطلاق نار كثيف من عناصر الأمن والشبيحة السورية من عناصر الجيش السوري، العناصر الذين يحملون جنسية سورية؛ إخوة المتظاهرين في الدم واللحم والانتماء، إخوة شربوا الماء ذاته وأكلوا من الخيرات ذاتها، في أرض سورية واحدة، ليرتقي في المظاهرة شهداء إخوة وأصدقاء، رجال في ريعان الشباب لا ذنب لهم إلا أن ثاروا في كلمة حق وصدق يبتغون بها ثمناً للحرية!

لا يمكن للانتفاضة أن تبقى سراً، السر إن كان مؤذياً فما من حق أحد أن يبقيه سراً، وما كان منا إلا أن أعلنا هذا الألم. في خبر عاجل بالخط العريض، استقبلت شاشات التلفاز ألمنا هذا، وأخبرت العالم عنه، وسرعان ما هاجمت الدول الأوروبية فساد الأمن ورجاله الذين ما تضامن منهم معنا إلا القليل؛ فامتنعوا عن إطلاق النار رأفة بنا ورحمة، خوفاً من قتل نفس بريئة جلّ ما تملكه صوت ينادي ويهتف، صوت يخرج من جسد أعزل يستنجد بالله، بعد حصار يتعرض فيه أي رجل للقنص تخرج النساء فقط لتحضر خبزاً تسكت بها جوع أطفالها يريدون أن يبثوا الخوف في قلوب الرجال ونسوا أن رجال درعا رضعوا الشجاعة منذ الصغر، لا يهابون رصاصة، ولا يجتاحهم ذعر دبابات وهليكوبتر تترصدهم من كل جانب، ما أخافهم أن أسقطوا تماثيل العبودية التي اجتاحت كل المنطقة يبغون بها تقديساً لأنفسهم. في درعا بالتحديد عرفوا معنى أن يكسر صمت العبودية هذا بعد أن داس الدرعاويون رأس التماثيل وحرقوا الصور المعلقة في الشوارع كنوعٍ من إبراز السطلة والذات.

قدمت درعا مئات الشهداء، منهم الأطفال والشيوخ، الرجال والنساء، ولكل شهيد حكاية، لكل بيت فقيد وغصة تتوارى خلف ضحكة مصطنعة يجاملون بها قلوبهم الضنكة ليكملوا آمالهم وأحلامهم التي باتت تنازع في القبور بعد أن وأدوها حية خوفاً من نظام مجرم لا يفوت فرصة واحدة للقتل

والإجرام، يحرق الأرض بمن فيها لئلا يهتز عرشه بصرخة "ارحل".

كمتظاهر حر توجهت للمظاهرة بغية التعبير عن الرأي المكبوت منذ زمن، بين طائفية طغت وتجبرت وعنصرية منحازة لآل الأسد في شتى المناصب الحكومية، وعن الحق الضائع بانتخابات بلا تزوير، بين ألم وأمل في أن ترفرف رايات الحرية في سماء سورية هتفنا ونادينا، خفنا واعتقلنا وضُربنا، أُوذينا، وما كان منا إلا صمود تلو صمود، ما أخافتنا بندقياتهم ولا الأسلحة الثقيلة، حوصرنا، وانهالت علينا القذائف، وفرقتنا الرصاصات، قتلتنا لكنها لم تقتل صوتنا الحر. ارتمى في حضني بلا حركة، جثمان هامد بلا صوت ولا نفس تنسكب الدماء منه ليحني يدي ورائحة زكية كالورد فاحت تعانقني، زاد أتزود به إن ضاق صدري أكره يدي اللتين حملتاك للقبر، أكره صدري الذي لم يفتدك وسمح للرصاصة أن تنغرس به، تعاهدنا على المضي معا في درب واحد لكنك خنت العهد وسبقتني لحفرة جرداء من كل شيء وتركتني بين جدران تكذب بأنها الأمان، ولكن لا أمان يذكر بعد فراقك...

صديق احتميت به كل أيامي، خطونا طريقنا الدراسي معاً منذ نعومة أظفارنا، رسمنا معاً أحلاماً مليئة بالحب والأمل، أحلاماً بسيطة تتلخص في بيتين متلاصقين وقلوب متحابة حتى آخر نفس، في دراسة جامعية، في الكلية ذاتها، ومنصب

وظيفي في المكان ذاته، لكنك دفنت كل هذه الأحلام معك. لا ألومك، ليس لك ذنب، لست من اخترت هذا، بل اخترناه معاً، أن نكون في الصفوف الأولى للمتظاهرين، ومن ثم اختاروك كفريسة أولى يفجعون بها قلبي، يؤلمون أضلعي بها...

صديقي، أريد أن أخبرك الآن، وأنا على رفات قبرك أرثيك، أريد أن أقول لك إن الظلم دائم إلى يومنا هذا، مازال الذئب في أعلى قمته يخاف أن ينزل فتأكله الأسود، يخشى أن يترصده فرساننا، مازال يشرد الأبرياء ويقتلهم، ومازالت نساء درعا ثكلى بين دمع ودم، زوجة شهيد أو أم طفل وطفلة.

أريد أن أخبرك يا صاحبي أن العُمريّ يُدنسُ الآن من أعداء عمر، تظهر في ملامحه العتيقة وبين تفاصيل وجهه تقاسيم الأسى، المسجد العمري الآن يشتاق إلى أحبابه الذين ماتوا ودفنوا في باطنه، يشتاق إلى الذين هاجروا وتركوه بحثاً عن أمان يضم باقي أيامهم المرة، يحن إلى أبنائه الذين كانوا يحضنونه في كل صلاة، يسجدون في محاريبه، ويقبلون ترابه في كل سجدة، والآن بات وحيداً. يتلهف لأن يرى المتظاهرين يهتفون من حوله أن لا تراجع لا استسلام، أن يراهم ثائرين كما عهدهم ينفضون الغبار عن حناجرهم في صرخات تتعالى بين صرخة ثورة وصرخة هبَّة.

درعا اليوم تحتاجك أيها البطل، تتنهد وتطلب لملمة جراحها الندية التي لم تلتئم منذ أول سكين طُعنتها.

إنها مازالت تنزف إلى يومنا هذا، تنوح في صمت، وتمسح دمعها السخي الذي يحرق مقلتيها في نار تتأجج مع كل

عود يابس يُلقى إليها يظنه العالم غصناً أخضر تتشبث به وفي الحقيقة إنه ما يلبث أن يطأ الأرض حتى يفنى كرماد تنثره الرياح مع كل نسمة ليجوب الأرض بحثاً عن وطن دافئ يحتويه، وأرض صلبة تتراكض فيها مضامير الخيول تهبُّ فداءً لدرعا...

# إدلب الخضراء (لا نعرف معنى المستحيل)

لطالما حثنا والدي على العلم، ولطالما كانت أمي من النساء السباقات في نشره، وعلى هذا تربّيتُ وإخوتي؛ على أن للعلم مكانة مقدسة في قلوبنا لا نسمح أن يلمسها اليأس أو الفشل، أن نحارب في سبيل الوصول إلى أحلامنا تلك التي ولدت في قلوبنا منذ صغرنا ومازالت تتزايد مع كل نبضة يخفق بها. لا أذكر في يوم أني استيقظت للمدرسة مرغمة، دائماً كنت من توقظ العائلة عند أذان الفجر، نتسارع في لهفة للاصطفاف في ركن الصلاة ليبدأها بنا أبي بصوته العذب الذي يملأ أرجاء البيت في حنوٍ، يرتل سورة الفاتحة إلى أن يختتمها بـــ" آمين" نرددها معه وقلوبنا مليئة بيقين تام بأنه يسمعنا ويرانا، بأن الله سيجزي كلّاً منا بآماله وأمنياته، وأنه

سبحانه ما عجز يوماً عن فك كربة بل إنه يحب أن يرى عبده في خشوع وضروع، يريد أن يباهي به ملائكته أن هذا عبدي يلجأ إلي حتى في حالات ضعفه وانكساره.

طال بلاؤنا هذه المرة، يا أله، وبات الحزن يأكل من أعمارنا، باتت قلوبنا في أسى عارم يحوطها اليأس من كل جانب، إننا ندرك أنك رحيم بنا، وأنك ترى ما طالته يد الإجرام التي تفتك وتقتل وتسفك دماءنا، وأنك سبحانك تنتظر توبة نصوحة منا حتى تعيدنا إلى عزنا المعهود.

عن نفسي، يا أله، ما تهاونت مرة في عملي ولو كان ذا شأن قليل، لازلت أحافظ على علمي، وأسعى وراءه في جد وعمل دؤوب بلا كسل أو ملل، أحفظ القرآن وأرتله في شغف حتى وصلت مسك الختام، رفعت يدي في خشوع أسألك أن تبارك لي ما أحفظ، وأن تجعله شفيعي يوم لا ينفع مال ولا بنون، ورحت أجوب به أرجاء قلبي وأتلوه أناء الليل وأطراف النهار، ثلاثون جزءاً من قلبي تعلق بكل حرف منه وبكل آية حفظته عن ظهر قلب، عن حب وعن إيمان بأنه سيكون حافظاً لي في كل خطوة أخطوها، وها أنا الآن على منصة التكريم، الكل يبارك و يهنئ، الكل يحثني على العمل به، ما علموا أنه بات ركناً ثابتاً في قلبي، وبتّ لا أقوى على المضي في يومي بلا سورة الفاتحة والمعوذات، فأجدني فجراً، وقد غلبني التثاؤب، إلا أن لساني وجل يلفظ من تلقاء ذاته.

أعلم أن البداية كانت صعبة للدرجة التي ظننت فيها أنني لن أستطيع حفظه ولكنني وفي الختام نجحت، وها أنا الآن

أتلوه بالقراءات العشر دون تلعثم دون خطأ، ودون أن يخطف قلبي شيء غير حبه.

لأمي الفضل فيما أنا عليه الآن ولأبي كل الحب، فلولاه ما أكملت في هذا الطريق، ها أنا اليوم ابنة السابعة عشرة ألمس بيدي أول أحلامي وسط حفل ضخم يحضره مئات الأشخاص من كل المحرر السوري جاؤوا إلى إدلب يفتخرون ببنات إدلب وغيرهن في فرح عارم غطى أرجاء المكان. نعم ! أنا الإدلبية ابنة الحرب، ابنة القهر والدمع، خسرت عائلتي في قصف جوي مكثف على أحياء قريتي الصغيرة، قريتي التي ما شهدتها يوماً تبكي، والآن كل ما فيها يدعو للبكاء.

ها أنا الآن، يا أبتي، أناديك وأنت تحت حطام منزلنا الذي طالما اختبأنا في زواياه حال سماعنا صوت الطائرات الروسية وهي تغزو السماء، تبحث في حيرة عن شارع ما طالته يد الإجرام بعد، عن مكان تلقي به براميلها المتفجرة والصواريخ الحربية لتفتك بالمنازل والبشر، لتحرق الشجر ولتسقط سطوح المنازل فوق رؤوسنا كما فعلت في حينا...

لا أنسى تلك الفاجعة ما حييت، ومن يقدر أن يمحي ذاكرة لعينة خزنت لحظة سقوط المنزل بأكمله؟! بعيني وثقت كل شيء، واحتفظت به في أعماق قلبي، في قلب أجوف إلا من بعض الذكريات، طغى الحزن فيه حتى انفجر في صرخة روح تدمي القلوب، أنظر إلى بيتنا اليوم وأعاتبه... آه لو استطعت أن أضربه لأجبره على إخراج أمي وأبي من تحت ركامه، لو أستطيع أن أخبر أحداً بأنهم ها هنا يقطنون تحت كل

هذا الركام، ولكني لا أذكر سوى أنني فتحت عيني على ضوء خافت تخبرني بعده الممرضة أنني أصبت ببعض الجروح وأن الأمور تحت السيطرة ولن أضطر للبقاء هنا طويلاً. أردت أن أخبرها بأن والديّ هناك بقيا في المنزل، وأن أمي كانت تعدّ لنا الحلويات، وأن علينا الإسراع لإخراجها من الفرن قبل أن تحترق، أردت أن أخبرها عن دفتر أشعاري الذي بقي في المنزل وهو أغلى أشيائي، وأني لا أودّ أن أفرط فيه... عن ورودي المجففة بين صفحات الكتب، وعن كتبي التي أحبها أيضاً، عن قلمي الذي أهداني إياه معلمي حينما فزت في مسابقة الخطابة فقررت الاحتفاظ به ما حييت.

كيف لي الآن أن أخسر كل شيء؟! وكيف لي العيش بلا كنف والدي؟! كيف لي أن أرتل القرآن مجدداً وقد توارى صوتي خلف حنجرة عتيقة قطعت البلية كل حبالها الصوتية لتجعل منها حنجرة هامدة، استحوذ عليها الصمت، وهيمن عليها بالكامل. رعب عمّ المكان وصوت لا صدى له يتردد في أرجاء الصمت فلا يُسمع!

لا ذنب للطائرات الحربية فلطالما رأيناها مصدر فرح لنا نحن الأطفال، لطالما رأيناها وهي ترسم خطاً أبيضَ كنقاء قلوبنا، نلوح لها، ونصرخ بأعلى أصواتنا "أوصلك الله بالسلامة أيتها الطائرة"، لطالما رأينا فيها شيئاً جميلاً نحبه ونألفه، ولكنها ما إن أُعلِنت الحرب حتى تغيرت، وأصبحت تحمل في جوفها متفجرات وصواريخ، قنابل عنقودية يرمي بها عناصر الأسد وشبيحته وأعوانه الروس والإيرانيون على

رؤوس الناس، يطبقون بها سياسة الأرض المحروقة، دمار شامل غطى أرجاء إدلب، لم يسلم شارع أو حي، ولا منزل أو عائلة؛ من فاجعة الفقد هذه، في كل أسرة شهيد ولكل أم غصة. هكذا تغيرت الطائرة وهكذا بدت لنا الآن في أجواء الحرب، كوحش هارب من عرض مسرحي يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يبث الخوف في قلوبنا، أن يجعل أمانَنا واطمئناننا رهبةً وذعراً، هل غاية هذه الطائرة أن تروعنا؟! أهي عبدة مأمورة أم إنها تقصدت فعل ذلك؟ لا أظن أنها بغت هذا ولا أحسبها سعيدة بذلك، كل ما في الأمر أنها عاجزة عن قول "لا" في ظل نظام فاسد لا تقوى فيه حتى الآليات الثقيلة على رفض الظلم والهوان، أعلم أنه لا ذنب لها، وأعلم أنه لا قدرة لها على مواجهة جيش كامل بهذا البطش، بل إنها تأسى لحالنا ولما فعلوه بنا، حنَّ علينا حتى الجماد وما حنَّت قلوبهم يا ألله، فأي مضغة سوداء تحتوي صدورهم؟! وفي كل الأحوال، لقد تشوهت، وللأسف، صورة هذه الطائرة في عقولنا، وما عادت تؤنسنا كما كانت في سابق عهدها، إنها الآن كابوس كل طفل ما إن يسمع صوت أزيزها حتى يهرع خائفاً إلى حضن كهف، فإما أن يحتويه أو يلقى حتفه في طريقه وهو يلجأ هلعاً من موت يضمه بقبر صغير.

من رغبة عارمة في إثبات هوية إدلب، وفي اصرار على تحقيق تلك الأحلام الفتية، في لهفة لأن تعلو أسماؤنا إلى الله في سباق حفظ كتابه ختمت حفظه وما توقفت رحلتي هناك، بالرغم من أن الحرب أفقدتني أهلي وعائلتي، أمي وأبي،

وبالرغم من أني عشت وإخوتي بقية أيامنا أيتاماً. بالرغم عن فقدي لنطقي وصوتي الذي أردده وأرتل به قرآني، أكملت دراستي الجامعية، لم تكن المرحلة الثانوية أمراً سهلاً، بل كانت أشبه بأن ترى الرطب في أعلى نخلة ولا حل لسد جوعك سوى أن تتعب وتتسلق الشجرة حتى النهاية فتصل، إنها أشبه أن تحارب لأجل أمة لا تملك إلا العلم سلاحاً تحارب به.

في يومي الأول لم أقترب من أحد، خشية السخرية وأن ينادوني باسمٍ لا أحبه، أن يعيروني بعجزي عن النطق أو أن أصبح فريسة لألسنة الثرثارات اللواتي يحسبن أن الله قد رزقهن الكمال -وما الكمال إلا له-، جلست في مقعد بعيدٍ نوعاً ما وبدأت أسمع ما تتلوه المعلمة في تلهف للمزيد، وأدوّن ما تقوله بسلاسة وترتيب منمق، ومن ثم أعود للمنزل أدرسه وأتابع في جدٍّ، بلا كلل أو ملل، وبقيت على هذا الحال أسبوعاً حتى بدأت أشعر بالضجر، ليس من الدراسة وإنما من حال الوحدة التي اعترتني كلي، وأصبحت تأكل من أعماقي، وتخزن فيّ صوتاً كامناً يناديني: "هذا كافٍ" في حق قلب نهشه الصدأ، وهذا دافع لألملم جراحي ووحدتي وأبغي بها سلاماً بكسر حاجز هذه الوحدة، ومن هنا بدأت صباحي في أسبوعي الثاني برغبة عارمة بحياة أفضل أعيشها بطريقة جديدة ولو باءت محاولاتي بالفشل يكفيني شرف المحاولة. بقلمٍ رحت أكتب ما أود قوله على ورقة تداولتها رفيقاتي بفائق الاحترام، بمحبة علت جباههن وزادت مع كل يوم كنا نقضيه

معاً في أرجاء مدرستنا ذات الأبنية البسيطة التي قضت على بعض أجزائها الطائرات الحربية فأسقطتها أرضاً، وبقيت صامدة تتحدى الحرب، وتخرّج في أكنافها أجيال متعلمة تنهض بها، وتزيد في المناطق المحررة عالماً ومهندساً وطبيباً، معلماً وحافظ قرآن وحافظات كُثُر.

عرفت حق المعرفة أن إحداهن ستكون بطيبة قلبي ذاتها، ستشبهني بالرقة والإحساس، بالرأفة ذاتها والرحمة ذاتها، وهذا ما حدث، رافقتني حتى نهاية الثانوية، وراحت تشاركني أملها، وتزرعه بي كغرسة نبات تعتني بها، وهي في قلبي، تسقيها بكلامها العذب، وتربت عليها في حنوٍ فائق. أمل على هيئة بنت تدعى "أمل" أكملت معي طريق الكلية في جامعة مَن يستمرّ فيها كمَن يجاهد على الجبهات؛ لنوال كنوز العلم والمعرفة، دفعتني بكامل إرادتها وإصرارها على الاستمرار في الدراسة بالرغم من الفقد الذي أعانيه، بالرغم من أني بنت بلا صوت أو همس، وبلا أهل، فكانت الأخت التي تسندني عند التعثر، تمسك يدي لأنهض كلما وقعت أو اجتاحني يأس الأيام، وبهذا أمسكت يدها حتى في يوم تخرجنا، ونحن واقفتان معاً على منصة التكريم، تكريم جديد لأوائل كلية الشريعة في جامعة إدلب. كنا طالبتين ما تهاونّا قطّ، وما غلبنا التراخي والقنوط... وجب عليّ أن أشاركها فرحة سعينا ونضالنا، وكان فوزنا بها فوزاً عظيماً...

معها فقط ومن خلالها استطعت أن أعود كالسابق، أن أشرع من جديد بذات الصوت وذات الترتيل القرآني، بعد

صبر طويل منها، وتدريب مستمر؛ لإعادة زقزقة العصافير لحنجرتي الساكنة التي طال هدوؤها بلا أي قصة تُحكى، وها هي الآن في يوم تخرجي تخبئ مفاجأتها لـ"أملي" وللجميع، بأن أفتتح الاحتفال بتلاوة عطرة مني، أفتتحها بقوله تعالى:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ).

# حماة الفداء (عجوز في الغابرين)

في بقعة جغرافية نائية حدودها السماء، قطعة من جنة المعبود في الأرض، يحوطها نهر العاصي كسلسلة قلادة

لتكون لؤلؤتها التي تزين عنق الريف الشمالي لحماة، منطقة تعود أصولها إلى عصر بليستوسين (الممتد من 3 ملايين سنة حتى 10000 قبل الميلاد)، أقل ما يقال فيها أنها تحفة أثرية مازالت باقية حتى عصرنا هذا، عثر فيها على أول دليل لإنسان خارج إفريقيا وأراضٍ سكنية يعود أصلها إلى سبعة آلاف سنة كان يعيشها إنسان (نيندرتال) مع أدواته الصوانية مختلفة الاستخدام تقدم بها إثباتاً واضحاً على ابتكار الإنسان للبناء في العراء بعد أن سكن المغاور والكهوف في جرف الوادي خوفاً من وحوش الليل، في هذا المكان وُلِدتُ ووُلدت معي أحلامي التي شبت معي ورحت أرعاها منذ أول نبضة دق بها قلبي يوم وَلَدتني أمي.

قرية صغيرة يعمل فيها الجميع، ويحصد ثمار تعبه، يأكل فيها الجميع من خير أرضه، لا يعرف معنىً للكسل أو الملل، قلوب تتلهف دائماً لحب الخير، لإغاثة الملهوف وإكرام الضيف. في أجواء ريفية يسند فيها كل رجل كتفه إلى فأس يصاحبه إلى الأرض ليلاً ونهاراً يمضيان جل وقتهما معاً برفقة نار لطيفة تدفئ القلوب مع كأس شاي صغيرة تؤنس ليالي الصيف المقمرة، وسماء مرصعة بنجوم متفرقة تشكل لوحة فنية من أعظم ما قد تراه عين أو ترسمه فرشاة.

كانت أحلامي بحجم قلم طبشور أكتب به على لوح خشبي في أجواء صفية أشاركها تلاميذي الصغار وسط طابع يغلبه المرح أقتدي بها بمعلمي الفاضل الذي ربت على كتفي وقال لي كلمته تلك التي رسخت في ذهني، وما محيت حتى بعد أن

غلبني عمر الثمانين: "أنتَ مشروع معلم ناجح". أذكر يومها أني عدت إلى البيت فرحاً بعد أن خطها بقلمه الحبري ذي الريشة المعدنية على دفتري وما علم أنه خطها في قلبي قبل الورق، أظن يومها أنه رأى فيّ بذوراً لهذا المشروع، وفعلاً راح يحثني على العلم والاجتهاد بأسلوب يملؤه التحفيز؛ لكي ينبت ذلك الغصن الفتيّ الذي ما إن اشتد عوده حتى هجر قريته ليكمل تعليمه بعيداً عن حضن قريته الدافئ وعن قلب أمه الأكثر دفئاً...

لم أبتعد عن قريتي، وبقيت أزورها بين الفينة والأخرى بعد أن صار مكان إقامتي مدينة حمص، حيث بدأت رحلتي الجديدة من معهد إعداد المدرسين، تلك الرحلة التي كانت تدفعها أمواج الأمل بالوصول في كل مرة يحوطني اليأس أو الإحباط، استمر قلبي ينبض بها حباً وشجاعة، حيث إن لكل قلب ما نوى، ولكل سفينة مرسى بعد سعي دام أياماً وسنينَ طوال.

دامت رحلتي المتنقلة بين حمص وحماة قرابة ست سنين، مدة قضيتها في الدراسة، وأخرى في التدريس، وفي كل مرة أعبر فيها مدينة الفداء ألحظ تغييراً ملحوظاً، شيءٌ ما يبكي فيها وكأنها تستنجد لعذابٍ حلّ بها ولا قدرة لها على البوح به، شيءٌ ما يخنقها ويقطع أنفاسها الحرة يمنعها التفوه بما يقلقها، في كل مرة جبت بها شوارعها كنت أرى الحزن بادياً على الشجر قبل البشر، ملامح هادئة ساكنة لا تسمح لك أن تمر بها مرور الكرام، ستجعلك تمعن النظر في تفاصيلها، في

ناعورتها السوداء الشامخة التي ما إن تنزل إلى الماء حتى تحمل معها دموع الفقراء وتنثرها على الملأ ليراها الجميع، ظلمٌ ما حلّ بأهلها ولا قدرة لهم على الصمت بعد الآن...

فيض من الذكريات يقفز إلى ذاكرتي كلما اجتمع الأحفاد وطلبوا أن أتلو لهم حكايات المساء، ونحن ملتفون حول المدفأة نحتسي الشاي ونأكل من حلويات جدتهم؛ يخطر في بالي دائماً أن أحكي لهم قصة حصار عام ١٩٨٢ مدة ٢٧ يوماً، يوم غزت الطائرات السماء وحولتها سوداء حالكة كالحة، يغص فيه نهر العاصي بدماء الأبرياء، يتلون بالأحمر تعبيراً عن حبه لشهداء مدينته التي عاش في كنفها عمراً، يوم نادى المنادي أن يستسلم الأحرار فأبوا أن يطأطئوا رؤوسهم ذلاً وهواناً لحكم حافظ الأسد بعد أن آل بهم القهر إلى غيابات جب الأسر. قُصفت مدينتي الجميلة، وهُدمت مبانيها القديمة بحثاً عن مؤيدين للإخوان المسلمين على قيد الحياة في الأيام الأربعة الأولى من الحصار، أما الأحياء المختبئون في أنفاق المدينة القديمة فقد قُضي عليهم بعد أن ضخ رفعت الأسد وقود الديزل عليهم ليقضي على نفسهم الأخير، في الوقت الذي تمركزت فيه الدبابات عند مخارج المدينة لتقصف وتدهس الشعب الحر الذي قال "لا" في وجه قائد فاشل باع الجولان، وما رفّ له جفن عندما قتل الأطفال الأبرياء في مجزرة نكر فيها إجرامه وسكت عنها العالم...

وددت لو أحكي لهم قصة مفتي حماة الشيخ أحمد الذي هاجم منزله عناصرُ الأمن، وحاصروه من كل الجهات، ثم ما

إن ألقوا القبض عليه حتى جردوه من ملابسه، وانهالوا عليه ضرباً مبرحاً حتى آذوه وأقرباءه، وعفروا لحيته بالتراب ولم يكتفوا بهذا عذاباً، بل قاموا بسحله، وأحرقوه حياً وما رف لهم جفن، ولم يرحموا شيخاً متهالكاً ذنبه الوحيد أنه يعرف الحق، وينشره ليهدي به الناس، ولا يفتي بما يأمرونه به بل بما أمره الله...

لا تغيب عن بالي قصة الأطفال الذين اجتمعوا كي يأخذوا خبزهم من المسجد حتى اصطفاهم الموت وأضحوا طيوراً في الجنة على يد عصابات آل الأسد المجرمين، الذين يطلقون عليهم نار البندقيات ليختلط الدم بالخبز الساخن في مشهد قاسٍ، أطفال عزل لم يُقتلوا لجرم ارتكبوه ولا لشيء ألحقوا به ضرراً بل لأنهم أولاد مسلمون فقط، اختاروا دينهم الإسلام ورئيس دولتهم علوي شيعي يفرض عنصريته في بلد يحكمها، وبشرعية كاملة في أن يختار لهذا الوطن مواطنين عبيداً له ويقلقه وجود عبيد الله.

تزاحمت في مخيلتي صور الفتيات الصغيرات في مقتبل عمرهن مغتصبات في حمام الأسعدية في منتصف سوق الطويل، بعد أن اقتادوهن من الملاجئ مرغمات لا يعرف الأهل مصيرهن في مشهد إجرامي جماعي بأجسادهن الفتية لم يتركوهن بعده إلا حوامل عراة من ملابسهن مقتولات، حادثة يتمثل فيها الإرهاب بأقسى حالاته، قلب أبٍ مفجوع بابنته وآهات أمٍ تئنّ في صمت لأسى ابنتها التي فرحت بها في ريعان شبابها ها هي الآن بلا بنت، هل ستسامح من قتل

ابنتها؟! داخل جدران ذلك الحمام يوماً صرخات مكتومة وبقايا قلوب لبنات يشهد لهنَّ التاريخ على وحشية هذا النظام الهمجيّ.

أسرة كاملة من آل السواس قضت نحبها حرقاً على مرأى من الناس جميعاً، في منطقة الباشورة، بعد أن اقتحموا المنزل، وألحقوا الضرر بأهل البيت جميعاً بلا رأفة، قتلوا ربّ الأسرة ومثلوا بجثمانه وعبثوا به، ولم يأبهوا لنحيب تلك الزوجة المخلصة التي بقيت تئنّ لوفاة زوجها بصمت وألحقوا الأذى بها، بعد محاولات كثيرة يائسة للاعتداء عليها، قاومت بكل ما أوتيت من قوة فلم يشف ما في صدورهم من غلٍّ فأشعلوا النار حولها في غرفتها بسكب مواد مشتعلة لتلقى حتفها محروقة...

هي امرأة حرة أيضاً، ذاقت وعائلتها قهراً وحكماً جائراً لم تختره وإنما بلاء حلّ بها بلغت به أسمى درجات الشرف والكرامة في موقف يتناقله الأجيال فخراً يُقتدى به.

أحداث قصص المُعتقلاتِ المتمثلة بالمرافق العامة والمدارس في تلك النكبة المكبوتة هي مشاهد حقيقية يعجز أي قلم أن يخطها، إنها مجازر جماعية وقتل بلا خطيئة، شهدت الأرض على دماء هؤلاء المعتقلين الذين خافوا بطش اللواء علي حيدر - قائد الوحدات الخاصة-بعد زيارة لم يفهم السجناء الأبرياء مغزاها، وراحت نفوسهم تتوجس خيفة منها. أي مكروه سيحل بهم؟ وأي بلاء سيصيب هذا المعتقل الصغير الذي بات يلم شتات أيامهم الأخيرة، ويحتوي ضلوعهم

المكسرة وأفئدتهم الدامية التي ما إن دخل عليهم حتى قذف الرعب فيها، ونطقت ألسنتهم هتافاً باسمه ذُعراً وهلعاً من أن ينالهم شيءٌ من بطشه وحرمانه؟ لقد تحنّن عليهم ببعض الطعام الذي لا يكاد يسد الرمق وأغطية يدثرون بها أجسادهم بعد أن أضحوا في العراء بلا دفءِ جدران بيتهم الهانئ، ومن أين للنفس أن تنعم بعيش بعد إبادة جماعية بسبب غضب رفعت الأسد وثوران جنونه لما فعله هؤلاء الناس وخاصة أن السجن يتبع لسرايا الدفاع وتحت سلطته.

أمرهم بأن يفنى هؤلاء السجناء بلا أي رحمة، بإشارة واحدة منه فقط استطاع أن يبيد 90 شخصاً بين نساء وأطفال وشيوخ لتكون آخر كلمات يتردد صداها في آذانهم "لا قائد إلا الزعيم رفعت".

شخص عرفته في حماة أحببته جداً، شيخ عرف بصوته الجهوري في صوت يصدح بالحق، وحبه للإسلام وخوفه الدائم على المسلمين وحرصه على تطبيق تعاليمه حرفياً خشية أن يلقى أحد حتفه في نار جهنم وهو قادر على إنقاذه بهديه الطيب وكلامه العذب، ترتسم على محياه البسمة كلما لقي الأطفال يعلمهم حب الدين والقرآن، وتأويل الأحاديث ومعناها مما يزيدهم علماً وتثقيفاً. خطيب مفوه لجامع سوق الشجرة، يعتلي منبره بصوت يهز به قلوب المصلين من خشية الله يحثهم على الغيرة لأجل هذا الدين الحنيف وصونه والثبات عليه حتى آخر رمق...

أياما وسنين قضاها يبحث في أمور الدين متنقلاً بين حماة وحلب، يرفع راية الإسلام، يطلب العلم في كل مكان. حاولوا ثنيه عن هذا الأمر، وأدى رفضه إلى زيادة لؤمهم عليه، فنالوا من لحيته الطاهرة بعد أن أحضروه من المعتقل، وطلبوا إليه أن يقرأ القرآن مستهزئين بقدرة رب العالمين أن يحفظه من غضبهم وعقابهم له أن يجعل الله له نجاة مما هو فيه، وبعد تلاوته أشاح الضابط بناظريه وبضحكة شامتة: "ربك لن ينجدك، حانت ساعتك وسنضعك في جهنم"، واقتادوه إلى سوق الحدادين، وأحرقوا جسده الطاهر؛ فأصبح أيقونة يعتز بها الجميع. أرثيه اليوم بكلماتي هذي علّ أحفاد أحفادي يعرفونه حق معرفة ويتخذونه قدوة لهم.

نالت شقيقتي "آمنة" ما يكفي من الذعر يوم نزل الخبر كالصاعقة، خبر لا يمكن لأي امرأة عاقلة استيعابه. في حالة يرثى لها سارت طريقاً يبلغ آلاف الكيلومترات لتبحث عن جثمان زوجها المقتول في إحدى مجازر تلك الحقبة الزمنية المؤلمة، وما إن وصلت حتى صعقها مشهد اصطفاف الجثث في الأرض، واحدة بجانب الأخرى، منتشرة في الطرقات، ولا مكان تضع به قدمها، جثث متراصة على طول الطريق تفوح منها رائحة الموت، تختلط بها رائحة البارود الذي ينبئ عن مجزرة ضخمة قد حدثت قبل قليل..

بدموعها المنهمرة تجوب الشوارع، وبقلبٍ دامٍ يملؤه الأسى بفقد عزيزها الذي التحق بالخدمة الإلزامية مرغماً بعد أيامٍ قليلة من زواجهما فتركها وحيدة مع فستانها الأبيض. بقلب

يعتصر الحزن تنتظر متلهفة خبراً يطمئنها عنه ليصلها خبر وفاته.

أثناء سيرها بين الجثث سيطر عليها رعب، وها هي اليوم العجوز التي تئن في صمت ليلتها الطويلة، تفتق القطعة المفقودة من قلبها التي ضاعت في زوايا حارات حماة العتيقة ولا تعرف عنها شيئاً حتى يومنا هذا. تتوسل إلى الله كل ليلة أن يجبر قلبها المكسور، وأن يكون الملتقى في جنة النعيم حيث الروح والريحان وربّ رضيان.

أنا اليوم عجوز في الثمانين أفرغ ذكرياتي في دفتري الورقي لعلّي أستنجد به لأخفف حمل ذاكرتي اللعينة التي باتت تثقل رأسي وتوثق كل مُرٍّ انتابني في هذه السنة البائسة، التي مرت بكل قسوتها لتعلن حرباً من نوع آخر تقصف بها تلافيف دماغي وتحفر به قصصاً وحكايات، وتقلب في قلبي صفحات الأرق لتكتب قصة أخرى عنوانها الحداد على أرواح الضحايا، أكون أنا فيها البطل الناجي الوحيد الذي عاش دهراً بعدها يجتاحه قهر الأيام، لا يقدر أن يمحي حرفاً واحدا، لا يقدر أن يروي هذه القصص للأحفاد ويكتفي بحكايات ليلى والذئب وغيرها؛ لأنه يعرف حق المعرفة أن حرب ٢٠١١ قد حكت لهم ذات التفاصيل وذات القصص لكن باختلاف بسيط تغير فيه أبطال الرواية.

# حلب (جندي مجهول الهوية)

إنها حلب... أرض الصمود والأجداد، أرض القدم التي مر عليها الزمن وبقيت شامخة بقلعتها الحرة وحارتها المعطرة بأزهار النارنج الفواحة التي تعبق أحياء المدينة كلها. في أحد هذه المنازل ولدت أنا وولد معي قلب حر نابض بالثورة وعزم لا يثنيه خوف أو كسل. درست وترعرعت حتى صرت شاباً يفتخر بي والداي ويحترمني الجيران كلهم، ذا خلق حسن عطوف على أطفال الحي أحبهم كما أخوتي الصغار، تتوارى إلى مسمعي ضحكاتهم وهم يهتفون في مرح "ها قد أتى كريم" وبالمرح ذاته كنت أقابلهم، يسلّمون علي ويدسون أياديهم الصغيرة في معطفي كما عودتهم أنا ليأخذوا ما فيها من حلواهم التي كنت أشتريها خِصّيصى لهم بعد عودتي من يوم جامعيّ طويل، إذ كنت في السنة الثالثة من مساري التعليمي في دراسة الطب.

تكررت الانتهاكات كل يوم بحق المشاركين في الحراك المجتمعي، والمتضامنين معهم بالقول والعمل، والرافضين لمظاهر التشبيح في فناء الجامعة، والذي تمثل بانتشار الرشوة

والفساد وتزوير النتائج والمعدلات بحسب الطائفة التي تنتمي إليها، وأشد ما يثير غضبي أن أرى طلاباً يمشون متفاخرين بسلاحهم كنوع من التخويف لزملائهم، فيجعل ذلك السلطة بيد مجموعة من الطلاب، تذل سائر المجموعات، زيادة على أن بعضهم امتهن ذلك لتحقيق مكاسب مادية ومعنوية، إذ يتجولون بين الطلاب يسوقون من يشاؤون -حسب مزاجهم- إلى المفرزة الأمنية بعد حفلة تعذيب ثم يحولونهم إلى أحد الأفرع الأمنية أو المخابرات.

أمام هذه الأحداث اليومية وصور شهداء العلم وزملاء الدراسة تركت دراستي وانضممت إلى فئة من الشبان الذين تطوعوا بجهود فردية لإنقاذ الأماكن المنكوبة التي تطالها البراميل المتفجرة والقنابل العنقودية. معظم العاملين معي كانوا متطوعين من خارج المهنة، بعضهم أكمل تعليمه ولم ينل عملاً بسبب الطائفية التي كان النظام يعمل بها، وآخرون لم تسمح لهم الحرب بإكمال دراستهم، وأصحاب مهن تركوها ليعملوا على المساعدة في أعقاب غارات الطيران لبوا نداء الواجب انطلاقاً من مبدأ (من أحياها فكأنما أحيا الأرض جميعاً)، وذلك للمساعدة على النهوض مجدداً رغم نقص الإمدادات والإمكانات.

اقترنت معايير السعادة لدينا بالقدرة على تعافي الناجين من آثار القصف، وتأمين إسعاف المصابين، وتوفير سكن طارئ لهم، وإرشادهم إلى ملاجئ آمنة، ومرافقتهم في رحلتهم بحثاً عن الأمان المفقود بين أرجاء المدينة المنكوبة، وإزالة

الأنقاض، وانتشال الجرحى والشهداء... وتوالت آهات العالقين تحتها الذين يصارعون من أجل حياة جديدة.

مظاهرة تلو مظاهرة، وتبعها الإجرام تلو الإجرام بحق من نادوا بالحرية والإصلاحات. تجلى ذلك الإجرام بآلة حربية لا تبقي ولا تذر طالت الإنسان والحجر. من أجل الحرية والكرامة بصدور عارية واجهوا الرصاص والضرب بالعصي والاعتقالات، ولم يكن ذلك يثني من عزيمتهم. لا يكاد يمضي يوم دون اعتصام، أضحت مدينةً للدمار بعد اتساع موجة التدمير الشامل وحرمان الملاذ الآمن وارتكاب المجازر بهدف تهجير السكان وإفقاد الثوار الحاضنة الشعبية لبسط سيطرة النظام على المدينة التي كانت تصافح الشمس عند شروقها مطلع كل يوم مفعم بنور الحياة لتغدو مدينة أشباح كأن لم تغن بالأمس، يسير الموت بين أروقتها وعلى أشلاء أبنائها تغفو على جرح، وتصحو على صرخات الثكالى بين أبنية صامدة تطاول السماء شموخاً، وجدران متهالكة تروي قصص صمود أبطاله. تستقبل الصباح فتمسح عن جبينها غبار التعب الذي خلفته الطائرات المغيرة تحت جنح الظلام.

لا يقتصر عملنا على هذه المهام فغالبا ما كنا نساعد في أعمال صيانة شبكات المياه والكهرباء، وكثيراً ما كانت تطالنا يد الغدر بتنفيذ الغارات المزدوجة حيث تعود الطائرة لتقصف المكان نفسه مرة أخرى بالمزيد من حمم نيرانها بهدف إلحاق الأذى بأكبر عدد ممكن من الأرواح، فالمسعفون باتوا هدفاً مشروعا لها.

مررنا بحالات مؤلمة، عايشنا الموت في كل لحظة، فأصوات المدافع لا تهدأ، ورائحة الموت أصبحت مألوفة، والانفجارات تدوي بين الفينة والأخرى، والحرائق تشتعل في المنازل والطرقات، والدخان الأسود يتصاعد في السماء، تتراءى من خلاله الأسقف المعلقة بين السماء والأرض.

تتكرر المشاهد كل يوم في مدينتي المحاصرة. غادرت الطائرة بعد أن ألقت ما ألقت من براثنها القذرة. ساد هدوء حذر في الأرجاء، هدأت صرخات الأطفال وأنات الأمهات، وسكنت أصوات الرعب، فلا تكاد تسمع إلا قرع نعال أحدهم عاد ليجمع ما تبقى له من ذكريات في بيت خرّ ساجداً من هول ما لاقى، بيت لا يمكن إلا لقطرات المطر أن تطأ ترابه وأشعة الشمس أن تنفذ من خلال أنقاضه، تراه شارد الذهن مغرورق العينين يلهث وراء صوت أجهش بالبكاء بصوت مسموعٍ من بعيد، كانت أمه، للأسف، قد رفعت أصبع الشهادتين ولفظت أنفاسها الأخيرة قبل أن يصل إليها.

لم يكن هناك وقت لمراسم الدفن والجنازة، فالضحايا كثر والأنقاض أكثر. يتوجب علينا الإسراع قبل الغارة الجديدة، وفي مكان آخر، ليس ببعيد عنا، قضى أربعة أطفال في غرفة ظنوا أن راحتهم فيها، فقضت مضاجعهم الصواريخ فكانت نومتهم أبدية.

لن أنسى، ما حييت، أمّهم الجاثية على ركبتيها ترمقهم بنظرات الوداع الأخيرة، ترثي فلذات أكبادها، وتدعو الله أن يقتص لها ممن حرمها منهم، ثم أشارت إلينا بيدها كي ننقذ

زوجها، فالأطفال باتوا في رعاية الله. وصلت سيارة الإسعاف، فنقلناه مع سائر المصابين إلى المستشفى حيث كان في غيبوبة، فتناوب الأطباء على إنعاشه بوسائل بسيطة في ظل نقص الإمكانات، وبعد عدة أيام فتح عينيه وطلب رؤية زوجته وقد علت الابتسامة محيا وجوه كل المتواجدين، فقد أدخل السرور والبهجة إلى نفوسنا في تلك المرحلة العصيبة.

لم يعد هناك بصيص أمل في الاستمرار بالعيش هنا، فقد استهدف القصف المستشفى، آخرَ مكان نابض بالحياة، وحطم أثاثه ومعداته. حاولنا الانتقال إلى مركز أكثر أماناً، لكن الانفجارات لا تتوقف. خمسون برميلاً خلال أسبوع، ولم يعد أهل الضحايا قادرين على التعرف على أشلاء ذويهم. الموت والحياة سيان، ومن لم يمت قصفاً مات تحت حصار خانق انعدم معه الغذاء والدواء. وهنا بات الخروج إلى مناطق الشمال الحلّ والخيار الأول للنجاة من هذه المأساة الكبرى التي حلت بنا.

مضت أيام وأحضرَت حافلات التهجير القسري، ركبت إحداها باحثاً عن الحرية وإكمال دراستي، وكلي أمل بالعودة إلى حارتي منصوراً يوماً، فقد تركت قلبي فوق ثرى حلب، وخرجت أحمل بين أضلعي ذكرياتي شاهداً على الألم والخذلان، وفي داخلي صوت ثائر يردد: (سنرجع يوماً إلى حيّنا).

والآن حلب المحررة هي وجهتنا، عدت أبحث بين أحيائها المدمرة عن شعلة نور أعود بها إلى العلم مرة أخرى، أنا الذي

ردد طوال عمره أن العلم نور والجهل ظلام، ما أثنتني هذي الحرب عن مبادئي وأفكاري، أو عن حريتي التي جعلت مني رجلاً أقوى، رجلًا يعرف كيف يصارع الألم، كيف ينتشل طفلاً من فم الموت ويعيده إلى الحياة مجدداً.

ها أنا أعود إلى الدراسة الجامعية مجدداً في **جامعة حلب الحرة** التي سدت ثغر قلبي بعد أن فارقتُ حلب، وفتحت لي يديها لأحتضن العلم بها من جديد؛ لأكون طبيباً نافعاً أقدم كل ما أستطيع لأكون دليلاً حياً على نجاح هذه الثورة، وأنها بالرغم من كل شيء، مازالت تصدح بخريجين، أطباء ومهندسين ومعلمين، سيعيدون بناء سورية، سورية الحرة، كما لم تطلها يد الأسد من قبل، هذا الأمل يراودني كلما اشتدت بي رياح الأسى وعصف ظلمها. في بقعة جغرافية صغيرة تدعى المحرر، لا يعترف بها أحد، ولا يسأل عن ظلمها أحد، تقوي نفسها بنفسها، بأهلها الثائرين على الظلم، الرافضين للإهانة والذل، تثبت للعالم المتخاذل أجمع أن السوريين رمز للصبر والسلوان لا يمكن لأي قوة أن تكسرهم.

فحكايات الثورة لم ولن تنتهي...

لأنها سطرت بدماء الشهداء وأشلاء الثائرين وحناجر المحتجين وأقلام الناشطين

وعرائش ياسمين دمشق وكروم عنب داريا

وشدو نواعير حماة

وشموخ متنبي حلب

وصمود زيتون إدلب الخضراء

حكايات الثورة صامدة كشوكة في حلوق الظالمين كنيران تحرق ضمائر المتخاذلين

كقصيدة حب خالدة يرددها أطفالنا في كل حين

نحن، السوريين، لن ننسى هويتنا، لن ننسى أرضنا التي هُجرنا منها قسراً، بالرغم من تخاذل الجميع عن نصرتنا، برغم الجراح والآلام سنبدأ من جديد...

## دمشق (بين شوارع الغربة)

المكان أشبه بتلك المناظر الخلابة التي طالما شاهدتها في الأفلام الوثائقية، شوارع منظمة مرصوفة بالأشجار، حدائق كثيرة هنا وهناك، والقطط تتجول كالسيدات المخمليات بتكبر وغرور، ما يجعلك تقترب فقط لتتحسس جمال الأنوف الوردية التي ما إن تشم بك رائحة الألفة حتى تبدأ بملاعبتك في دلع وغنج... أكثر ما كنت أحب إمضاء وقتي به هو الحدائق، أجد فيها سلاماً داخلياً وطمأنينة، راحة كالتي في أفنية البيوت الدمشقية القديمة. لم أكن أظن بأنني سأشتاق إلى دمشق بهذا القدر. كل شيء هنا مختلف، ربما لن أتأقلم بهذه السرعة لكن علي أن أحاول، ربما في الأمر سر لا أعلمه، أو ربما هي بداية مغامرة سأكون فيها بطلاً لكن... ترى من سيشاركني هذه المغامرة؟! أسأبقى وحدي فيها؟

ودعت دمشق في يومي المنكوب في الشهر السابع من عام ٢٠١٥م، حملت حقيبتي الظهرية خلف ظهري بعد أن أعدّتها أمي وهي تروي كل قطعة بدموعها الندية. أعلم أنها ستفتقدني وستشتاق إلي، وكان عزائي لها وجود الإنترنت، وقدرتي على التواصل معها، لكنني الآن أكره تلك الشاشة التي تفصلني عن أحضان أمي ولا تمكنني حتى من ملامسة خدها الوردي الرقيق، أكرهها وأكره أنني لا أستطيع أن أشم رائحة أمي وعطرها الذي لم يفارق كفي مذ آخر مرة لمسته حين انحنيت أقبله مودعاً إياها، ولأول مرة أشعر بأن جبلاً في قلبي اهتز عندما رأيت دموع أبي تسيل على وجهه المليء بندوب الحياة بعد أن جاهدته طويلاً في معركة خاسرة، انتهى به المطاف بالاستسلام لها، تتعثر الدمعة في حفر خده التي أحدث الزمن عليها أثره أو تعود أدراجها لعينيه البنيتين لتتوارى خلف قضبان جفنيه. راحت يداي تحتضن وجهه لتتبلل، فقد صعب علي أن أغادر من دون أخذ شيء يذكرني به، وما وجدت إلا في دموعه حبراً لمحبرتي. ماذا عساي أفعل في أرض كل ما فيها يدعو للحرب؟ كان حلي الوحيد هو الفرار رغم أني أعلم خسارتي الكبرى بهذا الرحيل، أعلم أنني سأنفى في غربة تأسرني وتبعدني عن راحتي بين أحضان بيتنا الدافئ، وأزقة حارتي الدمشقية العتيقة، لكنني في النهاية بتّ مقتنعاً أن سجني في بلد غريب أجهل زواياه وشوارعه المرصوفة بالسيارات المزدحمة هو خيرٌ لي ألف مرة من سجن بيت خالتي (سجون أفرع المخابرات)، المكان الأكثر رعباً على وجه الأرض أو لنقل في سورية فقط، فلا أظن أن

السجون في باقي بلدان العالم كالسجون عندنا، إنك لا تدرك مصيرك بها، وإن خرجت حياً منها. لا يوجد أبشع من أن تموت تحت التعذيب على يدي الضباط الذين يدخلونك سكارى يوبخونك ويطلقون الشتائم على ذنب لم تقترفه، نعم يكون الموت أشد رحمة من أن تخرج من سجن لن تسمع به إلا أنين النساء اللواتي يغتصبن في الزنزانة المجاورة لك أو تصارع أطيافاً في الليل تلازمك تشبه السجان الذي يأتيك في ساعة متأخرة ليصعقك صعقة كهربائية تفقد عقلك بضع دقائق، ثم لا تلبث أن تستعيده حتى تشعر بالدم يسيل على جسدك لجلدة نالت من ظهرك الذي احدودب لكثرة الطعنات به...

لا أنسى تلك اللوحة الكبيرة المنتصبة أمام أحد الحواجز العسكرية التي كنت أمر بها يومياً في طريقي للعمل: "جميع الشعوب تحرق أنفسها لتعزل رؤساءها، ونحن نحرق أنفاسنا ليبقى الأسد قائداً".

(الأسد) أو ربما إن عدنا بالتاريخ وبحثنا عن أصولهم لوجدنا أن مؤرخاً عراقياً قد أرّخ قولاً لأحدهم يقول فيه: إن أصول عائلة الأسد يعود إلى مدينة بهرز بإيران، وإن أصولهم ليست عربية، وديانتهم هي الكاكائية، وكانوا يتسمّون قديماً بعائلة الوحش، وهم مجهولو النسب قبل تلك التسمية.

إني و الله لأعجب من أبناء بلدي كيف لهم أن يهبوا لنصرة الأسد الذي، إن لم ندرجه تحت قائمة مجهولي النسب، قد يكون إيرانياً كوكائياً تسلل للطائفة العلوية خلسة، ودس أنفه فيها غصباً.

بعد أن وقفت الحافلة أكثر من نصف ساعة تنتظر أن يأتينا أحد العسكريين بقميصه المفتوح الأزرار والرائحة النتنة التي تنبعث منه على بعد أميال، رائحة مشروبات كحولية تبعث فيك شعوراً مفاجئاً للاشمئزاز ورغبة شديدة بالتقيؤ. يقلب الآخر البطاقات الشخصية ويجول بصره بين الأسماء ليقرأ ويتمعن والركاب في الحافلة محتارون في خوف وهلع، ترى من سنفقد اليوم من ركاب هذه الحافلة؟! أمس كان حسن الشاب الجامعي الذي يقصد جامعته، وقبل أمس كانت جيداء الأم المرضعة لطفلين يتيمين، أما اليوم فمن يا ترى؟

وبعد جولة قصيرة للبطاقات بين أيدي العساكر عادت كل بطاقة لمأمنها في جيوب أصحابها الصغيرة لتنعم بقسط من الراحة التي لن تدوم طويلاً لأنها ستخرج بعد أمتارٍ للحاجز التالي.

الأمن .. كلمة عربية لو بحثت في المعاجم لوجدت أن معانيها تتجلى في الراحة والطمأنينة. كلمة جل ما فيها يبعث فيك سكينة وهدوءاً، لكنها في سورية مجردة من كل هذه المعاني. قوى الأمن والمخابرات ما هي إلا عصابات تتمثل في مكاتب ما فوق سطح الأرض أما أسفلها فمعتقلات وسجون، تلك التي لا يدري فيها المرء ذنبه، ولا يحاكم في محكمة مدنية ولا عسكرية، إنما بمزاج ضابط الأمن في الفرع. قد تبدو فكرة حماية الوطن من الهجمات الخارجية أمر في غاية الأهمية لكن أن تكون الفكرة من وجود ضباط أمن متخفين بملابس متسولين أو بائعين متجولين لسلب كلمات

تذمر الشعب من سوء الحالة الاجتماعية؛ لهو خطر أبلغ من أن تصفه الكلمات.

يجلس أحدهم ينتظر دوره عند الحلاق ليقص خصلات شعره وما يلبث دقائق حتى يشارك في أحاديث الزبائن المنتظرين معه، يشكون غلاء الأسعار وقلة الحيلة، يفضفضون آلامهم ومواجعهم فيما هم فيه من حالة فقر تسوء بهم وتهوي إلى غيابات الجوع والألم، فتجد ذاك الحلاق الخبيث يشاركهم القصص ويتذمر كحالهم، لكن بعودته إلى أدراج بيته يسرع لمكتبه يلتقط الأوراق والقلم المرمي على الطاولة ويبدأ بكتابة التقارير الأمنية التي سيسلمها في غده للضابط ويأخذ أجرها مالاً وسلطة. ربما قد خلط بين قول هذا وذاك ولم يسجل الحقائق كما قالوها أو ربما نسب حديثاً كاذباً لرجال ما كانوا أصلاً، لا يهتم حتى إن كان افتراء وبهتاناً.

يتشارك شبانٌ في الجامعة نشاطاتهم وملفاتهم الجامعية أو ربما اجتمعوا في مكان عامٍ للتسلية والاستماع لنوعهم الخاص من الموسيقا، فيجدون أنفسهم معتقلين في مراكز الأمن؛ لجلوس شخص بمفرده على الطاولة المجاورة لهم في المطعم، يستمع لأحاديثهم خلسة ويسجلها ويزورها، ثم يختفي الشبان في المعتقلات، ويختفي معهم بصيص أمل أمهاتهم بالعودة بعد أن يخبروهن بأن أبناءهن في فرع المخابرات، وبذلك لا يعيش السائق المظلوم وحده مرارة الظلم بل يعيشها الكبار والصغار.

أذكر تلك الأيام الخمسة بأدق تفاصيلها لكثرة ما تعرضت بها للإهانة، أذكر يوم تركت أصدقائي في معسكر الخدمة

الإلزامية صباحاً وتوجهت للمقر حيث يتواجد الضابط العسكري ذو البزة الواسعة والبوط الثقيل. انهالت علي اللكمات والضربات والإهانة وسرعان ما بدأت أعاتب نفسي لأني قصرت في واجبي العسكري ساعات لأرتاح من عناء التمارين وجهدها، ولأنني ما انتظمت الصفوف أحد الصباحات الباكرة، فما استيقظت بعد ليلة أمضيتها في عقاب جسدي أنهك روحي، أو لأنني ما حلقت شعري كله، لكنني كنت مخطئاً في كل هذه الاتهامات الباطلة التي وجهتها لنفسي، لم تكن السبب بل إن تهمتي السخيفة هي أنني مساعد للكنيس الشيطاني في لندن لتأسيس ديانة جديدة. أتعجب من نفسي أنا حازم! كيف لي أن أزور لندن دون أن أدري؟! أطلقت ضحكة مستهزئة أواسي بها نفسي المتعبة بعد نصف ساعة من الجلد المتواصل، كل هذا ما دهاكم فقط لأنني أستمع لموسيقا الميتال، ولأنني اخترت شعري طويلاً، ومشيت في جماعات بصحبة أصدقائي.

أخرج الضابط يومها ملفاً ضخماً مليئاً بالأوراق، خلته يحوي أوراقاً مهمة أو بيانات العساكر الموجودين في الدفعة، لكن ظنوني تلاشت حين صرخ في وجهي، وقال: أترى كل هذه الأوراق؟ كلها تقارير أمنية ضدك، تبيّن أنك المؤسس لدين شيطانيّ جديد! فكرت في نفسي قليلاً يومها... هل يهتمون حقاً بما أعبد وبما أنا عليه من دين؟ وهل سيشكل هذا خطراً على حكمهم؟ أم إنهم يخشون الجماعة والمتكتلين، يخافون أن يتدارس بعض الجماعات تاريخهم النتن، وأن يثوروا ثورة

حق كما حدث فعلا، إنه الخطر الذي خشوا منه طلية السنوات ها هو قد تحقق في عام ٢٠١١م، لا يهم، فمن طلب مني ذات يوم أن أسجل أسماء العساكر المخالفين في أعمالهم الشاقة ليعاقبهم في المساء هو ذاته من طلب إلي أن أترك الجهد العسكري في المعسكر، وأنضم للقوى الأمنية، وأخالط الشبان في المنطقة، وأسجل له ما يدور بيني وبينهم كتقارير أمنية لأحظى أنا بالمال والسلطة، وبذلك أكسب فرصة لأكون شخصاً لامعاً من الخارج محتقراً نفسي ومبادئي وأخلاقي من الداخل. ألحق الضرر بهذا، وأتسبب في أذى ذاك، ثم إن لم أجد من يفوز به تقريري أضطر للاختلاق والكذب والافتراء على الأبرياء، تلك كانت خطتهم في أن يجعلوا أي شخص بريء من آثار هذه الحرب المسمومة تتلطخ يداه بأموالٍ قبضها يمتع بها نفسه ليُعذّب آخر ثمناً لذلك.

نحن هنا كغرباء نقصد ما يذكرنا بحياتنا القديمة. الغربة مُرّة تفتك بنا كمرض علاجه الوحيد وخز الحقن، نستريح إثر كل حقنة لننسى. الغربة أفعى خبيثة، تبدو لنا من الخارج ناعمة وملساء؛ بريق جلدها يوحي بحياة هانئة لكن السم مضمر في الناب، لن ندركه حتى تتمكن من أن تمسك بأعناقنا، فلا نفلت منها، ستخنقنا وستضخ السم ببطء ثم ما ندرك إلا ونحن راقدون في القبور.

ليست الأمور هنا بهذا السوء، لكنني لم أعتد الحياة فيها بعد، ربما لأني بت مقتنعاً بالهلاك في سورية، إنها الآن المكان الأكثر ألماً في الدنيا، إنه لمن الأنانية أن نفكر بأنفسنا فقط؛ أن

نهرب لنعيش سعيدين بعيداً عن وجع أمنا سورية، لكن ليس من العار أن نمنح أنفسنا فرصة جديدة للعيش بعيداً عن نيران الحرب. سأعتاد، فبعد مغادرتي لسورية تيقنت أنه ما من شيء يستدعي الحزن، عليّ الآن أن أبدأ من جديد، لن تقف الحياة هنا، يجب أن نلتفت لأنفسنا لعمرنا ولأيامنا التي تتسرب منا كحبات الرمل بين الأصابع. علينا أن ندرك تماماً أن هذه الحياة بكل ما فيها مرحلة مؤقتة، فلماذا لا ننتبه لما فيها؟! لم لا نعيشها بتفاصيلها، كأن ننتبه للحكمة من موجود الأشياء في حياتنا، للفراشة الملونة التي اختارت زهرة بيضاء لتحط فوقها. قد يبدو أمراً عادياً يحصل في كل ربيع، لكن هذا لن يكون شيئاً عادياً أبداً لشخص يحب الفوتوغراف، بل أنه سينظر للأمر بعين مليئة بالجوع للفن، ومن هنا انطلقت رحلتي في عالم اليوتيوب، وبدأت أعد المقاطع، أحكي للعالم فيها عن هذه الثورة وهذا النظام الفاسد، عسى أن يحيا الضمير الميت فيهم، ويقفوا وقفة واحدة بحق السوريين ليزيلوا هذا الصمت المطبق.

# ريف دمشق (حدث ملطخ بالدم)

مثل زهرة قرنفل بيضاء صامدة في وجه الشتاء كزيتونة ثابتة الجذور في بلدي الخضراء هذه هي نساء بلد رغم أنوثتها إلا أنها أبت الا أن تشارك الرجل في ثورة الكرامة. كان وقوفها باستقامة وجسارة خطوة مهمة في مسار تحررها من سطوة نظام سياسي واجتماعي فاسد. مارست دورها من خلل معركة الحرية للتخلص من سلطة الاسد. كانت حاضرة جنب

إلى جنب مع الرجل في كل مكان وزمان أخذت نصيبها من القتل والاعتقال والتغييب. فكانت في اول مظاهرة بعد خربشات أطفال الحرية في درعا اشتعلت نار الثورة بدماء رجال سوريا ونسائها شيبها وشبابها أطفالها وطفلتها .

شيماء فتاة في ريعان شبابها، تفتح ربيع عمرها مع بداية تفتح الربيع العربي الذي قوبل بالقمع والاستهداف وخنق مسيرته منذ نعومة أظافرها تقول في نفسها:" أريد أن أفكر، أنتقد، أشارك، دون أن أعلم أن هناك سجن ينتظرني في نهاية المطاف أقضي فيه ما تبقى من حياتي مغيبة عن عالمي فالحرية هي كل شيء وبدونها لن نشعر بقيمة الحياة والخوف يحجب الحرية عن الانسان ويحرمه هذه النعمة التي منحه الله إياها وأكرمه بها ".

كانت تحب التحرر وتكره الظلم ، انخرطت في الحراك السلمي الذي اعتبرته جزءا لا يتجزأ من واجبها الديني والوطني حين انتفض السجين ضد سجانه جسدت الوعي الكامن في جيل الشباب ضد الديكتاتوريات العربية حيث اسست، نظمت، دعت شاركت، ونقلت هذا الحراك إلى انتفاضة شعبية طالبت بإسقاط النظام وخرجت لتصدح بحنجرتها الذهبية بكل ثبات وقوة ....ارحل ...

فهي تؤمن بأن الرياح مهما عصفت بمركب الحرية سيبقى صامدا. وهي على يقين تام بالنصر والفرج القريب .فزمن الطغاة زائل مهما طال به العهد. والفجر سينبلج من اشد ساعات الليل حلكا .

لم تكن تأبه للأخطار الكثيرة التي تحدق بها والتي كانت تتسرب على ألسنة العامة وما يحدث للمعتقل عامة والمعتقلة خاصة وربط. هذه المخاطر بالوعي المجتمعي وما يحمله من تبعات قاسية تطال مستقبلها من كل النواحي .

في آذار 2011 كسرت صرخات الحرية حاجز الخوف في نفوس شعب يتوق الي التحرر والعيش بكرامة وسلم كغيره من شعوب العالم، هبوا ليقولوا كلمتهم بعد سنين طويلة من الظلم والقهر ونادوا بحقوقهم بحياة الحرية والعدالة الاجتماعية، طالبوا بإصلاحات ديمقراطية قابلتها سلطات النظام بقمع ممنهج تضمن مداهمة المنازل واعتقال تعسفية واختفاءات قسرية وزج بالجيش في مواجهة الثائرين برصاص حي تربص بالصغير قبل الكبير حرية حرية هي كلمة مفتاحية نادت بها الجموع في كل مظاهرة سلمية .

كانت شيماء تعي جيدا أهمية دورها في توجيه مسار الثورة لجأت الي شجب ما يفعله النظام رغم ما سيترتب على مشاركتها من تربص النظام بأصحاب الرأي السياسي الحر فكانت رمزا للمقاومة الشعبية ضد رجال اللا أمن والمخابرات. واصلت مسيرتها الثورية وخرجت لتكون مع الثوار الذين واجهوا الموت بصدور عارية هاتفين بكل ما أوتوا من قوة ليسمع العالم أصواتهم المكبوتة "مارح نركع مارح نركع خلي كل العالم يسمع".

رغم التخاذل الدولي وإجرام النظام وميلشياته مستمرين حتى تصل رسالتهم "عبثا تحاول لا فناء لثائر ". كانت شيماء

تشعر بواجبها في إيقاظ الضمير العالمي ليقف بجانب هذا الشعب، ركزت على قيمة الشموخ والصبر والاصرار في النفوس وشجعت على مواصلة النضال في كل اللقاءات التي قامت بها مع مجموعة النساء التي شكلتها لهذه الغاية فقد جابهت قوات الأمن المظاهرات بالرصاص الحي لتفريقها وكثيرا ما كانت هذه القوات تندس بين المتظاهرين تمعن فيهم ضربا وتنكيل بالعصي والأدوات الحادة مما أسفر عن وقوع إصاباتٍ في صفوفهم بين شهيد وجريح .

ولم تكتفِ هذه العصابات بذلك فقامت بحملات واجتياحات عسكرية حاصرت وداهمت المدن والقرى واعتقلت الكثير وارتكبت المجازر مما أدى لتشتت شمل العائلات فما من عائلة إلا وبين أفرادها نازح أو مشرد أو شهيد في قصة مأساوية تراجيدية يعجز عن وصفها قلم أو تجود بها قريحة .

بالإضافة إلى فرض حصار على كل مدينة حتى تعزلها عن اختها في محاولة يائسة لخنق الثورة في مخاضها مما اذن بتحول الحراك السلمي الى حراك مسلح للدفاع عن النفس ضد هذه الهجمات الشرسة.

عملت كممرضة متطوعة في احد المشافي الميدانية المستحدثة لإيواء الجرحى والمتظاهرين عقب تطور ممارسات السلطات البشعة في قمع الثائرين باستخدام الطائرات والأسلحة الثقيلة من دبابات ومدافع واليات والتي

خلفت وراءها دماراً هائل في النفوس قبل الأماكن حيث كانت دماء الشهداء وأشلاء الجرحى مداداً يسطر حكاية المجد في كل بلدة ومدينة ثائرة التي صنعت تاريخنا الحديث.

كسرت قيود بالية وضعتها العادات المجتمعية التي تحد من نشاط المرأة خاصة علي خطوط التماس. وجبهات القتال

لم تثنها قبضة الجلد عن متابعة مهنتها الانسانية كانت تتنقل بين اجنحة ذلك المشفى المصغر تواسي أما مكلومة. فقدت فلذات كبدها. تعزيها بمصابها تخفف آلامها تساعدها علي التعايش. والتكيف مع هذه الظروف المرعبة لتطفئ لهيب النار المشتعل في جوفها، ثم تذهب لتعطي طفل زجاجة حليب لا يمكن أن تعوضه ما فقد من حنان أمه ولمسة يدها الدافئة الحنونة ،وما أن تنتهي حتى تهرول الى طفلة أصيبت بحالة ذعر لسقوط المنزل فوق رؤوسهم تهدئ من روعها تمسح دموع مآقيها المنهمرة على خديها فترسم بخطوطها ملمح مستقبلها وتبوح بما لا يمكنها التعبير عنه بالكلم ثم تنهض مسرعة تضمد جراح مصاب فقد وعيه لكثرة جراحه النازفة في ظل نقص الأجهزة والمواد الطبية اللزمة واستهداف هذه المشافي التي تعتبر الملجأ الوحيد للناس فأضحت هدفاً للبراميل المتفجرة والصواريخ الفراغية التي تركت أثراً كبيراً من الدمار على العباد والبلد .

كانت شيماء فخورة بنفسها ثابتة في كل موقف يمر بها تمد يد العون لكل محتاج تخاف على أرواح الناس أكثر مما تخاف

على نفسها ، تعيش معهم أدق تفاصيل حياتهم، تقدم لهم الرعاية في معاناتهم تخشى أن تقف عاجزة أمام جريح لا تتمكن من فعل شيء لمساعدته .

سعت بكل ما أوتيت من قوة لتكون في الصفوف الأولى مما أدى إلى الوشاية بها من قبل أحد الأشخاص الذين جندهن النظام لتتبع حركات الثوار ومن يساندهم والإخبار عنهم

الإرهاب ومساعدة الإرهابيين _ حسب زعمهم_ كانت التهمة الموجهة إليها المبرر الذي ساق دورية من المخابرات الجوية لاقتحام منزلها، توقفت سيارة نزل منها ضابط دخل دون استئذان وأشار إلى مرافقيه بالدخول وتفتيش البيت ركنا ركناً وزاوية زاوية ولم يسلم مكان من عبث أيديهم الملوثة بدماء الشهداء حتى حديقة المنزل خربوها وكسروا أغصان شجيراتها وداسوها بأقدامهم، ثم صوب الضابط مسدسه نحو رأس والدها وقتله واقتاد الآخرون إخوتها الصغار كي

يجبروها على تسليم نفسها فما كان منها إلا أن خرجت وقال

"اتركوا إخوتي واعتقلوني "

هجموا عليها وكبلوا يديها وعصبوا عينيها فسارت معهم والغضب يملأ شغاف قلبها ونظرات الأمل بالعودة القريبة التي ترمق بها أمها تقول:" سأعود لا تقلقي يا أمي "

وهنا بدأت رحلة العذاب التي كانت تنتظرها ضربها أحد العناصر في كل موضع من جسمها مع إطلاق أبشع الشتائم.

والعبارات السوقية البذيئة ليصلوا بها إلى أحد أقبية نظامهم الفاشل فكوا قيودها وعصابة عينيها ودفعوها دفع ا وركل .

إلى زنزانة مظلمة نظرت من خلل نافذتها الصغيرة في ذلك الممر الطويل الذي رسم فيه دماء الجثث حركات أصحابها رأت شاب ا معلقا بالسقف والدماء تتساقط من جسده العارِ وشباب يعذبون تسمع أنات جراحهم وزفرات صدورهم المتعبة وفي آخر الممر غرفة مليئة بالجثث والدماء نثر العناصر فيها الملح لتجنب فساد الجثث بدل أن يضعوها في ثلاجات حفظ الموتى وهناك ألقوا جثة آخر بدأ الدود يأكل بطنه ، هذه ليست سجون إنها مسالخ بشرية فيها مالا أذن سمعت ولا عين رأت وما خفي أشد كسرا .

في زاوية أخرى شاب محشور في إطار سيارة لفظ أنفاسه الاخيرة في داخله لشدة ما لقي من الصعق بالكهرباء والجلد والحرق بأعقاب السجائر وآخر تم اقتلع أظافر قدميه ويديه ووصلت بهم الوحشية لاقتلع عينيه وسكب المياه الحارة علي جسده. ما أن يصل المعتقل اليهم حتى تبدأ رحلة الترحيب به بشتي أنواع التعذيب المعروفة وغير المعروفة وفي اليوم التالي دخل عنصر واقتادها نحو غرفة التحقيق واجلسها جاثية على ركبتيها وبدأ الضرب والشتم والكلمات النابية وخلع ثيابها و تناوب كل أفراد الفرع على اغتصابها وهددوها بإحضار باقي أفراد أسرتها إن رفضت الاعتراف بجرمها، ثم

عرضوا لها شريطا من الصور يظهر ما كانت تقوم به من أعمال لخدمة الإرهابيين على حد زعمهم زودهم به _ومع كل أسف_أحد الخائنين لمبادئ الثورة، فما كان منها إلا أن أقرت بما طلبوا منها الاقرار به ووقعت على أقوالها وهي بحالة هيستيرية كادت فيها أن تفقد وعيها .

بعد عدة أيام حشرت في سيارة مع مجموعة من الفتيات واقتدن إلى سجن خاص بالنساء وبدأت السيارة تشق الدروب وبعد ساعات أنزلوهن ووضعوهن في غرفة صغيرة لا تصلح أن تكون للدواب، بدأت تنظر حولها وتسال رفيقات زنزانتها عن مدة تواجدهن في هذا المكان، فهذه ثلث سنوات وتلك سنة وأخرى أشهر ،أما هذه فقد ضاع منها الزمن وتاهت الساعات فلم تعد تسعفها ذاكرتها لحساب المدة التي قضتها هنا لأنها فقدت ذاكرتها إثر ضربة على راسها.

تعجبت من صبرهن وقدرتهن على البقاء على قيد الحياة في هذا الجحيم، شاركتها مصابها عدة فتيات كل واحدة منهن ألصقت بها تهمة معينة منها نقل متفجرات ودواء إلى مواقع الثوار وأخرى كانت تنقل وتصور ما يحدث إلى وسائل الإعلام وتشارك في التظاهرات أما أغرب تهمة سمعتها هي قتل شبيح حاول الاعتداء على فتاة حرة أبت أن ينال من شرفها وكأن الدفاع عن الشرف تهمة!

تتابعت الأيام تلو الأيام وكأنها عمر بأكمله ثم شاء الله أن تخرج بتبادل أسرى كان الثوار قد وقعوا صفقة تقضي بتبادل ضباط علويين مقابل بعض الأسيرات.

كان قلبها يعتصر حزناً على الأسيرات اللواتي بقين في السجن تتذكر بحرقة عبراتهن المحبوسة في عيونهن يبكين حمماً بدل الدموع يصرخن صرخات لا صدى لها تهتز منها جدران ذلك السجن المتصدعة، ولا مجيب لها إلا الله ... خرجت شيماء وتنفست عبق الحرية ولكنها تفاجأت بإطباق النظام حصارا خانقا على بلدتها وإغلاق جميع المنافذ إليها إغلاقاً تاماً كنوع من التخويف والترهيب ومحاولة لإخراج الثوار من تلك المنطقة حيث شمل الحصار تعطيل الحياة الطبيعية وتجويع الأهالي لتهجيرهم قسراً ومنع الخبز والطحين وكل أنواع الطعام وحتى حليب الأطفال

والمساعدات الطبية والإغاثية واستخدام جميع أنواع الأسلحة ضد المحاصرين ونشر عناصره على المداخل الرئيسية .

لم تستطع دخول بلدتها ومشاركة أهلها ما يعانون من ألم فحزنت أشد الحزن خاصة عندما علمت أن أمها استشهدت بعد قصف منزلهم الذي قضت فيه أيام طفولتها وتفاصيل شبابها وها هو اليوم أضحى كومة من حجارة.

استقر بها الحال في منطقة قريبة من البلدة فأخذت تتابع وتترقب تحركات الثوار ومحاولاتهم لفك الحصار

وتسمع عن الاشتباكات التي تندلع بين الفينة والأخرى لفتح الطريق والتي غالبا ما تقابل بالصواريخ المحرمة دولياً والبراميل المتفجرة والمروحيات في مساعٍ من النظام لإفشال خطط الثوار مما حول البلدة الى رمز للصمود والمقاومة وبعد عدة اتفاقيات قضت بخروج المحاصرين والسماح بعبور المساعدات وحركة المرور، وبعد سنين عصيبة عاشوها على وقع القصف والتجويع اِلتم شمل عائلتها والِتقت بإخوتها ولم يكن يخطر ببالها يوما أن الباصات الخضر سيكون لها دور أساسي في حياتها بعدما نقلت الآلاف مع عائلتهم عبر تسويات تم إبرامها برعاية مسؤولي الأمم

المتحدة عندما بسط النظام سيطرته على المدن المنكوبة مما وضعها أمام خيارين أحلهما مر.

"إما أن تغادر أرضها ووطنها في ذلك الباص المشؤوم. أو الموت "

فقدت صبرها في ذلك اليوم فقد أصبح الكابوس حقيقة واقعة حاولت إخفاء الدموع أمام إخوتها فالوجوه شاحبة والأبنية التي مازالت صامدة تكاد تختنق لفراق أحبتها الذين أخرجوا ولسان حالهم يقول "سنرجع يوما إلى حينا " .

إدلب هي وجهتهم وهناك تغير مسار حياتها فقررت أن تفتتح مدرسة لتربي الأجيال القادمة على مبادئ الثورة الأبية واعتمدت على المناهج العلمية والأدبية التي تغرس القيم

والأخلق الإسلمية لإنشاء جيل يفكر بطريقة مختلفة عن الطريقة التي أرتد فرضها النظام القائمة على الذ ل والخنوع فحرية الرأي والاعتراض والتعبير حق ونشر الفكر والعلم والأدب دون موافقة أمنية حق وكل ما حملته الأيام الخالية من ذل وقهر وموت وتهجير لا يجب أن يثني عزيمة السوريين لأن اليقين يملأ قلوبهم بعدالة قضيتهم والصمود والتمسك بالأمل لأجل بناء سورية حرة هو المطلب الأساسي ولن ننس هويتنا كسوريين لن ننس أرضنا التي هجرنا منها قسراً رغم تخاذل الجميع عن نصرتنا رغم الجراح والآلام سنبدأ من جديد .

# دير الزور ( في حب الخير للغير)

إذا أردت أن تتحدث عن الكرم فسيكون لزاماً عليك أن تذكر دير الزور، وإن احتجت مساعدة في حل مشكلة فإن أهل الدير سينجدونك؛ لأنهم مثال في حب الخير وحُسنِ المعاملة، ستجد الديريين من خيار الناس الأفاضل، شعب كريم طيب يحب الحياة ويربطه بها لحن عذب يفوق كل ألحان الحياة جمالاً، يجعلك توقن أنه مازالت الدنيا بخير، إذا ما رافقك فيها أحد من أهل دير الزور، تلك التي يعتلي قلوب الناس فيها حنية الأم على ولدها وعطف الأب على ابنه.

في هذه التربة الخصبة زُرعت بذرتي لأنمو أنا تلك الطفلة التي رعاها نهر الفرات بين ضفتيه، كبرت وعشت بجانبه أحلى أيام الطفولة التي قضيتها في لهو ومرح، وأيام الصبا والدراسة التي أتممتها حتى الثانوية. لا زلت أذكر مدرستنا الصغيرة حيث رسم الأطفال أحلامهم ولونوها بألوان الأمل الذي غرسه فينا معلمون كرام، لا يمكن أن ننساهم فهم الذين ساندونا وعززوا ثقتنا بأنفسنا بصبر شديد حتى نتلقى العلم على أيديهم، وها نحن الآن ثمرة تعبهم بعد عناء وجهد

كثير. تفاصيل لعبنا في ساحة المدرسة، تمارين الرياضة الصباحية، دروس فنون القتال، دروس الرياضيات بصحبة معلمنا حاتم، واللغة العربية مع المعلمة سماح، ومدير المدرسة الحازم في عمله الحنون بمعاملته.

أكثر ما يحضر في ذاكرتي كلما أردت أن أخلد إلى النوم هي رحلة المدرسة، التي خطت في دفتر أيامي قصصاً وحكايات عن تفاصيل يوم بدأناه من مدرستنا بالحافلات الكبيرة وقد ضجت بأناشيد الصغار منذ الانطلاق حتى الوصول، ومنذ أن حططنا رحالنا حيث رافقنا المعلمون والمعلمات في جولة؛ ليعرّفونا تفاصيل الأماكن، ويزدونا بالمعلومات المفيدة والكثيرة عن "قرقيسيا"، واحدة من أقدم مدن التاريخ، مدينة سورية صغيرة اتخذت لها من مصب نهر الخابور في نهر الفرات موقعاً متفرداً، وهي اليوم أطلال أثرية. يعود اسمها القديم إلى اللغة اللاتينية وتعني المعقل أو الحصن الدائري، وآثار حضارة ماري التي كانت دولة سامية قديمة، ها هي اليوم تزين الدير ببقايا تلٍّ شامخ إلى جانب الضفة الغربية لنهر الفرات بعد أن تعاهدا معاً على إبقاء عهد الصداقة عمراً كاملاً.

و"دورا أوروبوس" وغيرها من الأماكن الأثرية التي بقيت شاهدة على تاريخ هذا المكان الجميل، تحكي تفاصيل قلوب عاشت هنا وماتت وبقي أثرها خالداً حتى يومنا هذا.

تناولنا الغداء في المنتزه القريب المزود بأشهى أنواع الأكلات السورية وأطيبها. في مثل هذه الأجواء كنا نقضي

أيامنا بلحظات متشابهة، ونقضي رحلة الربيع أيضاً بحثاً عن فطر الكمأة المنتشر بكثرة، حيث يجتمع في البرية جميع أبناء دير الزور للتخييم وإقامة حفلات الشواء تحت ضوء القمر. تتزين فيها السماء بنجوم مرصعة كما الألماس في خاتم نفيس يحوط إصبع عروس ديرية في يوم زفافها. تقام الأفراح وليالي الملاح لعرسها أسبوعاً كاملاً حتى تعمَّ البهجة قلبها وقلوب كل من حولها وسط أجواء خاصة يغلبها طابع أهل الدير بعاداتهم وتقاليدهم الفريدة من نوعها، لتحضير عرس متميز، يختار فيه النساء مكاناً قصياً عن الرجال؛ ليحتفلن بالعروس بالحناء التي هي لمة للصديقات للتعبير عن فرحهن لها، وأما عن الرجال فتنتهي حفلتهم بولائم طعام الثريد التي تدل على كرمهم وجودهم كمناسف الطعام التي يتجمع الرجال حولها على شكل حلقات. يعدّ الأكل دليل المحبة التي يكنها المتواجدون للعريس تطبيقا للمثل القائل: الأكل على قدر المحبة التي يكنون بها للعريس وأهله.

ولما كانت مراسم الزفاف لا تقل أهمية عن مراسم الاحتفال بحلول الشهر المبارك بعد أن يهل القمر على أهل المدينة، كانت تكتسي الشوارع بالأضواء والزينة المعلقة، تتبادل فيه الناس أطباق الحلويات الشهية وغيرها مما لذّ وطاب، كما أن للعيد طقوساً لا تخلو من البِشر والسرور، يزور فيه الأطفال جيرانهم وذوي القربى؛ ليحصلوا على العيدية، فتتزين وجوههم في حُبور، ويلمع رونق السعادة البراقة في أعينهم الصغيرة التي لو أمعنت النظر فيها لوجدت

فراشات الأمل الناعمة بأجنحة رقيقة تعانق بؤبؤ السواد لتضفي عليه سطوع الشمس في الأفق.

شيء ما تغير في الدير، إنه اليوم حزين جداً، بات متعباً بعد أن شاخ به الشباب في الثلاثين، الدير اليوم يبكي على الأطلال، يفتقد أبناءه الذين هجروه خوفاً وهلعاً من ظلم نظام فاسد أودى بكثير من الشباب والنساء في المعتقلات مُعذبين عراة ينال السوط من أجسامهم النحيلة التي عانت ما عانته من ضرب وإهانة، ولقي ما لاقاه في زنزانة صغيرة، يمكن وصفها بجهنم تحرق أجنحة الثوار الأحرار الذين هتفوا في الساحات عُزّلاً يريدون "إسقاط النظام"، وكان هذا جُلّ ذنبهم، في بلد تتغيب فيه الديمقراطية، لتفسح للاستبداد مجالاً، لحاكم جائر يستقل بالسلطة منفرداً منذ أكثر من أربعين عاماً مع والده، وبعد اندلاع المظاهرات في درعا وحمص أبت دير الزور أن تلتزم الصمت، واتخذت من الحرية نداءً ينادي بها الناس في الشوارع راجين من الله نصراً، آملين بانتهاء هذا العناء وهذا الإجحاف بحق السوريين وبحق كل من لا يوافق مصالح الفئة الحاكمة.

في يومٍ بت شاهدة على أحداثه بكل ما فيه من مشاهد تثبت نخوة أهل الدير لمناصرة درعا بعد أن انصبت على مسامعهم أخبارها كالصاعقة، وما حل بها من ظلم وأسى لحق بأهلها، فامتلأت الساحات بهتافاتٍ لنصر درعا...

"درعا تنادي... درعا تنادي... وينك وينك ابن بلادي؟".

اتخذت من مسجد عثمان بن عفان في حي المطار لها منطلقاً، كما الجامع العمري في درعا، قادها شبان تتوق أنفسهم للحرية، حيث تزامنت مع مظاهرة أخرى انطلقت من مسجد الصفا في حي العمال لتلتقي بالأخرى في الشارع الرئيس، ويتوحد الصوت والمطلب، لكن سرعان ما حوطت بحافلات رجال الأمن التابعة لقوات الأسد وميليشياته، كما هي العادة في المدن الأخرى لكبح جماح المتظاهرين وقمعهم بهجوم عنيف وتفرقتهم واعتقالهم، حيث كان غالبيتهم طلاباً جامعيين فضلوا الالتحاق بصفوف الثورة على البقاء مكتوفي الأيدي...

أخمد رجال الأمن المظاهرات بإغلاق المسجد في الشهر الخامس من العام ذاته، الأمر الذي أثار غضب أهل الدير لحبهم الشديد للمسجد، لذلك كان ردهم باعتصام أمام المسجد ثلاثة أيامٍ مطالبين بالإفراج عن المعتقلين. خضعت بعده قوات الأمن لمطالبهم، فعادت المظاهرات مجدداً إلى الساحات مراراً وتكراراً بلا أي يأس مع كل محاولات النظام الفاشلة لكبتها، إلا أن قدر الله واقع لا محالة وحسبنا أن رضينا به لتنتهي قصة الدير باقتحام في شهر آب، قُضي به على مسجدنا العزيز الذي تدمرت مئذنته، وباتت حطاماً مع أحلامنا يوم ودعناها رفضاً للبقاء تحت سيطرة حكم فاسد، كل ما فيه يدعو لإذلال السوريين، وكبت رغباتهم ودفنها تحت التراب، ولكن... عبثاً تحاول لا فناء لثائر، ستحول الأيام فتات صخور قلوبنا

المحطمة جبلاً شاهقاً يعلو ليحمل راية الحق منتصراً في وجه كل ظالم جبار.

ها أنا اليوم أكمل أحلامي بعيداً عن الدير في إدلب الحرة، حيث لا مكان لعبودية الأسد، لا مكان للتماثيل العفنة التي أكل عليها الزمن وشرب بعد أن دمرناها ولم نبقِ لها أثرا...

إدلب اليوم هي وطني الثاني، هي ملجئي وأماني، ومستقبلي الذي سأبنيه حجراً حجراً لأعلو به عنان السماء، وأكون فيه مثل زملائي الخريجين، أطباء أسنانٍ ناجحين، نداوي ونعالج مرضانا، ونخدم هذه الأمة الإسلامية بحبّ تاركين بصمة في تاريخ سورية القادم، التاريخ الذي سنحكيه لأبنائنا الأحرار.

كيف صمدنا؟ رغم اثني عشر خريفاً مَرَّ لم تسقط لنا ورقة شجرة إلا بدلنا بها برعماً جديداً في كل آذار تخليداً لذكرى روح الثورة التي انطلقت به، ومازالت مستمرة إلى يومنا هذا تعبيراً عن إصرار السوريين على الحرية مع كل ما طالهم من ظلم وأسى.

# الرقة (درع الفرات المناضل)

عمل بشار الأسد في خطابه الأول بعد قيام الثورة المباركة على تعزيز الحرب الطائفية، وإثارة الفتن،

والتحريض على المتظاهرين، واتهامهم بالخيانة، كما حوّل الجيش السوري إلى ميليشا طائفية تقتلهم، وعزز ذلك من خلال تسهيل انضمام ميليشا إيران وحزب الله إلى الجيش العربي السوري.

الرقة درة الفرات التي تعيش حالة انعزال متعمد، وتهميش مفتعل جراء سياسة النظام بما يناسب مصالح سلطته؛ ليبقى أبناؤها مقيدين بالسلطة ولا يعملون إلا لصالحها، فقد كان ينهل من خيراتها دون استثمار ذلك لخدمة شعبها؛ لذلك انتفضوا، فهم لم يكونوا بعيدين عما يحصل في باقي المحافظات، فخرجت أول مظاهرة تحت مسمى (جمعة العزة)، واعتبرت خجولة بعض الشيء بسبب عدة عوامل موضوعية وذاتية واجتماعية عمل النظام على تكريسها منذ عقود خلت.

في الذكرى الثانية للثورة خرجت مظاهرات، بأعداد كبيرة، انضمت إلى قوافل الثائرين المطالبين بنيل الحرية، لتثبت للعالم أجمع أن أهل الرقة ليسوا منحازين للنظام ولا مؤيدين له بأي شكل من الأشكال.

قام عناصر أجهزة الأمن بقمع التظاهرة بالرصاص الحي، فأدّى لإصابة عدد من الشبان بجروح بالغة ، واستشهاد ثلاثة منهم، بينهم (علي البابنسي)، فانفجر بركان الثورة في الرقة معلنا التحاقها بركب الثورة مع أخواتها السوريات على خط الجبهة في مقاومة النظام حتى إسقاطه.

تحول تشييع الجنازة إلى تظاهرة حاشدة شارك فيها أكثر من مئتي ألف مشيع، توجهت نحو المحافظة إلا أن الرصاص كان بانتظارهم مرة أخرى، فارتكبت عناصر الأمن مجزرة وحشية راح ضحيتها أربعة عشر شهيدا وعدد من الجرحى. ومجزرة أخرى عند دوار الساعة استشهد فيها أكثر من خمسين شخصاً عرفت بمجزرة الساعة الشهيرة.

كنت ضابطاً في مطار الطبقة العسكري أسمع وأرى ما يحدث كل يوم من انتهاكات النظام وممارساته ضد شعبنا الأعزل. وفي ظل استمرار العنف وسفك الدماء وتزايد الانشقاقات في صفوف الجيش آثرت أن أترك منصبي ومكانتي على أن أقاتل أبناء شعبي أو أكون عوناً لمن يقاتلهم، فالموت واحد، وأنا لا أهابه. لقد فضلت أن أسهم في تخليص وطني من قيود الذل على الدفاع عن نظام فاسد باع الأرض والعرض مقابل الإبقاء على سلطانه وحاشيته.

كان النظام يخشى من انشقاق كل جندي في صفوفه؛ لذلك اعتقل جندياً بسبب إبداء رغبته بالانشقاق، ورفض تنفيذ أوامر قائده بقصف المدنيين بالطائرات المحملة بالبراميل المتفجرة. سجنوه وعذوبه أشد تعذيب، وجراحه ماتزال تشهد على مرارة ذلك الأسى الذي عاناه، ما دفعه ورفاقه أيضاً للانشقاق معي رغم المخاطر التي قد تواجهنا في حال اكتشاف أمرنا.

أخبرت عائلتي بالأمر فأثنوا على قراري. جهزنا أنفسنا، وحملنا قدراً يسيراً من أمتعتنا الشخصية، وغادرنا منزلنا تحت جنح الظلام خشية اعتقالنا حاملين معنا أحلامنا بالعيش بسلام

وأمان في إحدى المناطق التي لا تطولنا بها أياديهم الملطخة بدماء الأبرياء.

إدلب كانت وجهتي، ومخيمات اللجوء على الحدود السورية التركية الوحيدة التي سلمت من القصف هي مقصدي؛ لأنها الملاذ الآمن لأسرتي بعد أن سمعت ما فعل النظام بأقارب الضباط المنشقين من قتل وتنكيل، حيث تركت عائلتي هناك، وعدت لأكون قائداً عسكرياً أقود العمل على جبهات القتال في الرقة. انضممت إلى صفوف الجيش الحر، وكنت أتابع الحراك الشعبي على الأراضي السورية كافة، وأتواصل بحذر مع أصدقائي، وأعمل بسرية تامة لتأمين انشقاقهم، وتحقيق أحلامهم بالتخلص من حكم دكتاتوري دام عقودا من الذل والهوان.

توحدت كتائب الجيش الحر وشكلت المجلس العسكري في السابع عشر من نيسان عام 2012م، وكنت قائداً في بعض المعارك لتحرير المعابر في المنطقة، واستطعنا السيطرة على معبر تل أبيض الحدودي، ثم على المدينة بالكامل حتى أجبرنا قوات النظام على الانسحاب، وتم محاصرتها. وبالتنسيق مع فصائل أخرى تمكنا من السيطرة على سد البعث ثم مدينة الطبقة وسد الفرات، واقتحمنا السجن المركزي، وحررنا الأسرى، وتم نقلهم إلى أماكن أخرى ووضعهم تحت تصرف الهيئة الشرعية، وكانت وتيرة الانتصارات تتسارع يوماً بعد يوم، حيث تم اقتحام قصر المحافظ وأمين فرع الحزب والعديد من المقرات الأمنية، واستسلم كبار الضباط وعناصر الأمن

التابعة لهم؛ لذا تهيأت لنا السيطرة على مرافق المدينة ومؤسساتها كافة، وقد ساعدنا على ذلك خروج ريف حلب الشمالي والشرقي شبه الكامل عن سيطرة النظام، الذي سحب جزءاً كبيراً من قواته، وأرسلها إلى دير الزور لمنع الثوار من السيطرة على المطار. كما ساعدنا انتقال المعارك في ريف دمشق إلى مشارف العاصمة.

كنا نتعاون مع الثائرين من خارج المدينة وأهلها والنازحين في داخلها، فشكلنا مجموعات قتالية كبيرة وحررنا جميع مراكز الأمن والمقرات العسكرية بتاريخ الرابع من آذار عام 2013م، وأضحت الرقة أول مدينة محررة منذ بداية الثورة، وبذلك تنفست هواء الحرية بعيداً عن سطوة الأسد.

كان جلّ هم النظام الدفاع عن العاصمة والمنطقة الوسطى بدلاً من المناطق النائية، حسب تصنيفه، المستبعدة عن نطاق خدماته. ورغم ما تحويه من ثروات باطنية وزراعية وحيوانية، استخدم الطائرات والصواريخ لقصفها كي لا نتمكن من جعلها مركزاً لنشاطاتنا وأساساً لإقامة حكومة سورية ننطلق منها لتحرير كامل التراب السوري الطاهر.

المشهد الذي لا يكاد يفارق مخيلتي مشهد إحراق تمثال المقبور حافظ الأسد في الطبقة، من أبناء المدينة، بعد أن ألقت طفلة صغيرة كلمة تدشين حرق التمثال، والمفاجئة كانت في سرعة اشتغال التمثال وتصاعد أعمدة الدخان الأسود، ما دل على رداءة المادة المصنوع منها، حيث كان التمثال محشواً

بأكياس النايلون الرخيصة المخصصة لجمع القمامة، فكشف ذلك فساد أعوانه ونفاقهم وعدم احترامهم لشخصه بإنشاء تماثيل له، حيث كانت هذه الأعمال باباً للسرقة لا تعبيراً عن الولاء.

أما التمثال الآخر فقد هاجمه الناس أثناء تعبيرهم عن النصر بتحرير الرقة في الرابع عشر من آذار عام 2013م. لقد ربطوا عنقه بحبل إلى سيارة إطفاء قامت بشده بقوة حتى اقتلعته وهوى على الأرض مبشراً بعهد جديد من الحرية، حيث تعالت الهتافات والتكبيرات بين الثائرين واندفعوا إلى التمثال يركلونه بأقدامهم فرحاً بالنصر، فما من أحد بين الحشود إلا وقد ناله شيء من الأذى، من تعذيب معتقل أو سلب أرض أو ضياع حق. عبروا عما تكنه نفوسهم من كبت خلال عقود من الذل والاستبداد، فعباءته التي ترمز إلى الفخر والاعتزاز لم يكن أهلاً لها وقد حان الوقت لانتزاعها منه.

لم يكتفوا بذلك، بل توجهوا إلى أكبر صورة لبشار في المحافظة، فمزقوها وداسوها بنعالهم وسط فرح عارم عم الأرجاء، وكأن اليوم أشبه بعرس وطني.

في اليوم التالي شكلنا لجاناً شعبية لتجنيب الأحياء الفوضى التي قد تحدث، ولحماية المواقع الأثرية والتاريخية والمؤسسات العامة، فتولى إدارتها أهالي المدينة الراغبون بالسير بشعبهم نحو الأفضل والطامحون للعيش بكرامة وحرية بعيداً عن الأسد وحاشيته الفاسدة إلا أن النظام أفرغ حمم غضبه على المدينة، فالطائرات لا تكاد تغادر سماء المدينة،

والدخان يتصاعد من كل مكان، والقذائف تنهال كالمطر، والمباني استوت والأرض. مئات الغارات يومياً وآلاف الضحايا، والمدينة تشهد حركة نزوح كبيرة بعد أن احتضنت الرقة حوالي مليون نازح من كافة المحافظات، فقد حطمت الطائرات الجسور ومحطات المياه والهاتف وخدمات المدينة للتضييق على الناس.

كان الوضع الأمني شديد الخطورة في ظل حصار خانق، فلا تجد أمامك إلا الدمار والخراب الذي لا يمكن أن يتصوره عقل، ولكننا نجحنا في تأسيس حكم مدني كان نموذجاً يحتذى في الثورة إلا أن تنظيم الدولة أفسد خططنا، وهجّر أهلنا، ونكل بمن بقي منهم، فقد خضنا معارك ضارية ضد هذا التنظيم الذي اتجه نحو التفرد بالسلطة، ومارس أبشع أنواع الظلم بحق معارضيه من خنق الحريات والاعتقالات العشوائية، فشكل رعباً حقيقياً للمدنيين الذين تخوفوا من القصف والاختطاف. توقفت جميع مظاهر الحياة بالإضافة إلى الغلاء الفاحش في أسعار المواد الغذائية والوقود، ومما زاد الأمر سوءاً غارات التحالف التي تستهدف كل مكان، لذا جعلنا رهائن مثل عناصر التنظيم.

في ظل هذا الوضع المأسوي عدت إلى أسرتي لأقضي ما تبقى لي من عمر بينهم متنعماً بالهدوء والطمأنينة، فلم يعد لي رغبة في شيء سوى إصلاح ما بيني وبين ربي لألقاه بقلب سليم.

# الحسكة ( مخاض أمل)

في جو من البساطة والتعايش السلمي والتنوع الحضاري ونقاء القلوب والوفاء تتربع قريتي على ضفاف الخابور، فيزين أرضها كما يزين الكحل العيون. تتبع لمدينة الحسكة الغنية بثرواتها الباطنية وطبيعتها الريفية الخلابة بتلالها ووديانها، بأنهارها وسدودها، بقمحها وقطنها، ولكنها من أكثر المدن السورية فقراً بالخدمات والاستثمارات بسبب تهميش النظام الأسدي لها.

أهلها يعتمدون على ما تنتجه أرضهم فتطمئن قلوبهم برزقهم الحلال، ولا يسعون إلى وظائف في الدولة المزعومة، فضباط الأمن والمسؤولون وموظفو النظام وأزلامه –وجلّهم من طائفته– يأتون إليها كي يملؤوا جيوبهم من خيراتها وكأنها مزارعهم الخاصة، يعاملون سكانها كالعبيد، يقاسمونهم رغيف عيشهم، ومصادر رزقهم، قهرا وذلاً، حتى وصل الأمر بهم إلى مصادرة الأراضي من أصحابها الأصليين، وتملّك الكثير من العقارات.

ولدت في كنف عائلة صغيرة يجمع الحنان والأخوة أفرادها، وحيدة بين ثلاثة صبيان، كنا الأمل المنتظر لبذور طيبة نثرها أبي وأمي في تربة صالحة فأثمرت ثمراً طيباً.

كان أبي أحد وجهاء القرية وملاذ أبنائها عند الفواجع والكربات، نفسه راضية تنبع بالشهامة والأصالة والطيبة،

صاحب أخلاق حميدة، عُجن من طينة الحب والطمأنينة مثال الإنسان الصادق الذي لا يعرف التصنع أو المهادنة في الكلام.

نشأت كإخوتي على حب العلم ومتابعة التحصيل الدراسي، وكنا من المتفوقين دائماً، فقد أكملت طفولتي في ربوع قريتي وتشبعت رئتي بعليل هوائها، وحضنتني مدرستها التي يقطن الحب بين جنباتها وتفوح البساطة من باحتها الواسعة.

ألجأ في أوقات فراغي إلى مكتبة والدي، أنهل منها المعارف والآداب وخصوصاً الشعر -الفن الأدبي المحبب إلى نفسي- أقضي ساعات بين أقسامها حيث الهدوء ورائحة الكتب المميزة.

حياتنا الريفية تستحق العيش بتفاصيلها كلها، فعندما يحلّ المساء ينثر السكينة على أهل البيت. نلتقى تحت عريشة العنب في الفناء، نتبادل الضحكات والأحداث التي مرت بنا طوال اليوم. يشاركنا حديثنا بدر السماء ونجومها في ليلة صيفية عامرة بالسعادة، ومما زاد تلك الجلسة سحراً أحاديث الجدة وحكاياتها وهي تمسح عن رأسي آثار تعب النهار بيديها الحنونين اللتين رسم الزمن عليهما خطوطه عبر سنين مضت.

أفسدت علينا جلسةَ سمرنا هذه أصواتُ الشبيحة وطرقُهم الباب بأيديهم وأقدامهم النتنة. لقد قدموا لاعتقال والدي بتهمة دعم الحراك السلمي والتحريض. شعرت بالهلع الشديد،

هربت، واختبأت في زاوية بعيدة دون أن ينتبه أحد لوجودي. أراقب ما يجري والصدمة شلت جسدي والخوف كتم أنفاسي. اقتحموا المنزل، وعملوا فيه تدميراً وعبثاً بكل ما تقع عليه أعينهم، وكأنهم يفتشون عن شيء ما. قام أحد الجنود بإخراج أمي وإخوتي وجدتي من البيت، وأمرهم بالاستلقاء أرضاً، وقام بضربهم بواسطة عصا كانت في يده، ثم سرقوا ونهبوا ما في البيت من مال وأوراق ثبوتية، وقاموا بإضرام النار فيه، وكبّلوا أبي وزجّوا به في صندوق سيارتهم القذرة، واقتادوه إلى وجهة غير معلومة.

غادروا ولكن المشهد لم يغادر مخيلتي، هرعت إلى جدتي ألتمس الهدوء في حضنها الدافئ، وإذا بالدماء تغطي معالم وجهها وقد فارقت الحياة، أما أمي وإخوتي فقد لاقوا ما لاقوا من ألم نتيجة الضرب المبرح حتى تكسرت أضلاعهم وملأت الجراح أجسامهم.

اجتمع الأقارب والجيران، وتولى بعضهم إخماد النار، وآخرون نقلونا إلى أقرب مستشفى ميداني كان الثوار قد جهزوه لمثل هذه الحالات التي لا يمكنها أن تدخل مشافي النظام.

مرت أيام ونحن في المستشفى نتلقى الرعاية والعلاج. كانت جراح إخوتي تتماثل للشفاء، أما أمي فقد كان الألم يعتصر قلبها، والدمع لا يكاد يفارق عينيها الناعستين اللتين غادرهما النوم بلا عودة، فمنذ اعتقال أبي لا يوجد أي معلومة عنه، وليس هناك بصيص أمل بعودته إلينا.

بعد خروجنا من المستشفى كان أعمامي قد أصلحوا لنا بيتنا وأعادوا المكان كما كان، ولكن أيامنا الحلوة لن تعود أبدا، وهنا بدأت رحلة العذاب والقهر؛ فوالدي مفقود ولم نترك باباً إلا وطرقناه في سبيل البحث عنه ولكن دون جدوى.

في غياب أبي أخذت أمي على عاتقها مسؤولية كبيرة، فهي تحاول أن تظهر لنا أنها قوية ومتماسكة، وقد تجاوزت هذه المحنة، وتحثنا على متابعة الدراسة كما يريد أبي، وتذكرنا بأقواله لنا: "على الإنسان أن يصبر ويكافح في سبيل تحقيق هدفه، ويمارس دوره بكل اجتهاد وثقة".

ربّتنا أمي بمزيج من حنان الأم وقسوة الأب، وغرست فينا الطموح والأمل، وكانت تقول دوما: "أريد أن أكون عاملة ومؤثرة في المجتمع، أصنع اسمي الخاص الذي نفتخر به جميعاً".

كنا ندعو الله أن يوفقنا من أجل أمي كي يفرح قلبها، وتقرّ عينها؛ لأنها حرمت نفسها كل ملذات الحياة من أجلنا، والحمد لله، فقد أثمر تعبها، وتكلل جهدها بنجاح أخي الأكبر ونيله الشهادة الثانوية العامة بمعدل ممتاز، ودخوله كلية الطب في جامعة حلب الحرة.

انتقلنا بعدها للسكن قريباً من جامعة أخي، وانتسبت أمي إلى إحدى جمعيات دعم المرأة وتمكينها التي تقدم الخدمات والأنشطة لإعادة تأهيل النساء ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً لكي تؤدي دوراً في بناء الأسرة والمجتمع. وأشرفت على قسم الأعمال اليدوية، وراحت تعلّم الناجيات من الحرب

والخارجات من الأسر مهنةَ الغزل والنسيج لتكون مصدر رزق لهن وهواية يملأن بها أوقات الفراغ.

اضطر أخواي لترك الدراسة والعمل من أجل تأمين مستلزمات الحياة اليومية، أما أنا فقد أكملت دراستي الثانوية، ونلت شهادتها، ودخلت الجامعة، وتخصصت بالإرشاد النفسي، فهيأ لي ذلك دخول سوق العمل بنجاح؛ لأن المرحلة التي نمر بها تحتاج هذا التخصص خاصة، فلم يتعرض أي شعب على مدى التاريخ لظلم كما تعرض الشعب السوري، فهنا دمار ومجازر، وهناك تشرد وتهجير قسري... واقع مأسوي في مخيمات اللجوء التي تفتقر لأدنى مقومات الحياة الكريمة، فالمدنيون الذين خرجوا هرباً من القصف مرّوا بظروف كارثية أجبرتهم على ترك منازلهم وأرزاقهم والنجاة بأطفالهم أملاً بالعيش بعيداً عن زئير الطائرات، ولكن المعاناة تضاعفت لنقص الغذاء والماء والخدمات الضرورية وعدم وجود مصدر للكسب الحلال، فمعظم قاطني المخيمات من المرضى والأيتام والفقراء، لا يملكون المال لشراء حاجاتهم وأدويتهم، ظروفهم شديدة القسوة، يعيشون تحت سقف خيام لا تقيهم حرّ الصيف أو برد الشّتاء.

انتسبت إلى إحدى منظمات الإغاثة التي تعمل على تخفيف المعاناة عن أهلنا في المناطق المحررة في ظل ازدياد العنف واتساع دوامة الحرب.

في هذا الوقت العصيب كنا نقوم بجولات ميدانية في المخيمات، نطّلع على أحوال أهلنا فيها، ونقدم لهم المساعدات

المتاحة، والدعم النفسي لأطفالهم الذين يحتاجون إلى تنمية الثقة بالنفس، والتشجيع للتغلب على صعوبات الحياة والانكسارات بصدرٍ رحبٍ، ومواجهتها والسعي لتغييرها نحو الأفضل، فنحن أصحاب الثورة، ومهما تغيرت معادلات الصراع فسوف نسعى للخلاص من هذا الواقع المرير، وسنسير قُدماً نحو مستقبل مشرق لكل سوري آمن بحقه في العيش بعيداً عن المتسلطين، لبناء وطن حرّ يحتضن جميع أبنائه. صحيح أن الثمن غالٍ ولكن الحرية أثمن، تفوق ثمن الحياة نفسها، فكل شيء يهون في سبيلها، مهما كانت التضحيات مؤلمة وجسيمة؛ لأن من ذاق طعم الحرية لن يتنازل عنها مجدداً لأي سبب كان.

# طرطوس (ابنة انترادوس)

لطالما أحببت البحر ولكنني بقدر ذاك الحب أخشاه. لم تكن قصتي مع البحر قصة عادية، أنا التي عشت في كنفه أيام عمري كلها، أتأمله وأحكي له قصصي الحزينة كلما تعثرت في طريقي أو كلما أحاطني الفشل، فيكون هو أول من أشكي له، ويسمعني بكل صدر رحب. أذكر أيام طفولتي معه كلها فرح.

كان رقيقاً جميلاً حظيت بذكريات حلوة معه، كرهته يوم التهم أصحابي من المهجرين، كانت رحلة قاسية ليست كبقية الرحلات التي عشتها، انطلقنا فجراً، لم تسطع الشمس بعد، ولم تتوارَ كل النجوم، الجو باردٌ والرياح تهب بين الحين والآخر، تخز وجهي كدبابيس حادة، تقذفنا الأمواج يميناً ويساراً بلا مسعى ولا خريطة ولا بوصلة على متن ذلك القارب الصغير الذي يظنه البعض قارب النجاة من آلامهم وجسراً من الجحيم إلى النعيم، لكنه لم يكن كذلك حقيقة، مياه كثيرة تغمر سطحه، ثمة بقايا شراع شبه مفقود تصفقه الريح ليتقوس ويصبح خارجاً عن السيطرة، نتشبث بما يصادفنا لكنه غدا في مهب الضياع، لم تكن أطواق النجاة كافية، والربان يوزع أوامره بصرخات مذعورة تضاعف الذعر في قلوبنا.

في موج شاهق لن يبقى للأحجام قدرة على البقاء، في خطر كهذا يصبح كل شيء تحت رحمة البحر. قلت لأبي ذات رحلة بوجه بريء: إنني أصبحت كبيرة وقد حان الوقت لأرافقه إلى البحر، حان الوقت ليعلمني السباحة رغم أني لم أتجاوز وقتذاك ست السنوات. أذكر رده، وهو يقول:

(إنك كبيرة يا بنتي لكن ليس في البحر، إنه أكبر من أي شيء).

ها أنا أعيش اللحظة الآن وحدي دون يد والدي التي تسندني، الآن فقط أعرف ما معنى كلمته تلك، أعرف عندما طوقتني المياه من كل جانب بأنه لا مفرّ من الموت، أخشاب السفينة تمزقها الأمواج كطفل يعبث بزورقه الورقي، لم يبق من سفينتنا تلك إلا القاعدة، خشبة عارية في طرفها بقية الشراع الممزق، والمهجرون يتأرجحون بين الأمواج سكارى، نجيت بأعجوبة، بعد أن أكّدت لي أمي حتمية غرقنا كالبقية من حولنا. لم أكن الناجية الوحيدة، فقد أقلت سفينتنا تلك الكثير من الأشخاص الهاربين مثلنا.

تمنى سعد لو أنه غرق مع بقية أسرته التي هربت معه خوفاً من قهر الحرب، رغبة في ملاذ آمن يمكثون فيه بقية حياتهم، لكنهم لاقوا حتفهم في تلك الرحلة القصيرة، رغم أن زوجته كانت تشك في وصولهم، فقد أشارت إليها حاستها السادسة بالتراجع إلا أن رغبتها الملحة في نجاتها وزوجها سعد وإنقاذ حياة ابنهما المريض ثمرة حبهم وجمال أسرتهم الصغيرة؛ كانت دوافع مغامرتهم.

ومن هنا أقول ليست الهجرة سبيلاً لحياة الترف، إنها سبيلٌ للخلاص، للحياة، لرغبة في إحياء قلب مات في أول أيام شبابه.

زوجي العزيز سعد:

أعتذر إليك، أعتذر لأن السفينة ستغرق في الأمواج وقد يفارق أحدنا الآخر، أعتذر لأنني سأتركك وأنا التي وعدتك وحلفت بأن لا شيء سيبعدني عنك، أعتذر إن لم أفِ بوعدي، بل إن الموت، عندما يقرر أن يسلب أحداً حياته، يكون قد سلب حياة شخص آخر دون أن يدري، هذا ما أخبرني به حدسي، ولكنني كذبته لأصل إلى حلمي. حلمي صغير جداً، إنه يتسع في علبة الدواء التي لم نستطع تأمينها لابننا ذي الأشهر الخمسة، إني أعدك، وسأفي بوعدي هذه المرة، إن فارقتني فإني سأحدث طفلنا عنك، عن أبيه البطل الذي خاض كل معارك الحياة ليداويه لكن هزمته معركة البحر الأخيرة. أكتب هذه الرسالة لك، وأدسها بين الأوراق لعلّي، إن متّ، أترك لك أثراً مني، فأرجوك أن تسامحني، وألا تحزن لبعدي.

أحبّك.

وصلنا شواطئ أوروبا مستبشرين بما سيأتينا، نرسم الفرح بأبهى حلة، ونلونه بألوان كل أمانينا، لكن الحلم لم يكتمل، فقد خاب ظني بما لقيته في أوروبا، كل ظني الجميل، وكل خططي باءت بالفشل، فالعنصرية التي تعرضت لها

كمسلمة تعدت كل العذاب في سورية، الظلم والحرمان من أبسط الحقوق فقط لأني مسلمة أشد عذاباً من كل ما مررت به، دائماً ما يلمز إلي من بعيد من قبل الطالبات الأوروبيات:

انظري كيف تبدو!

يا له من شكل غريب!

أكره نظرة الاشمئزاز التي تعرضت لها طوال أيام دراستي، نظراتهم إليّ توحي بأسئلة شتى... مثل: لماذا أنت هنا؟ أو: متى ستعودين إلى بلدك؟

يكرهون وجودنا بينهم ويبغضوننا إلا أن إسلامنا كان يحضنا على حب الخير للجميع وعدم التفرقة بين أحد.

طلبت إليّ أمي بإصرار خلع الحجاب ريثما أتمكن من مواصلة تعليمي الدراسي فقط خلال المرحلة الثانوية التي أتيتها كثيرا باكية بعد يوم أنهك فيه التنمر جسدي وأبكاني.

كرهت أوروبا في تلك الأيام وبتّ أزدري كل ما حولي، شعرت بالوحدة والفراغ، وجعلني الابتعاد عن زملائي في المدرسة أبغض حتى نفسي، وأظن أن لطلب أمي اللحوح آثاراً إيجابية على دراستي، فبعد أن تعرضنا للعنف الجسدي أكثر من مرة تنزهنا بها في الحديقة، وفي أكثر من مرة في السوق، وبعد أن مُنعت أمي من العمل رغم حصولها على الشهادات الكثيرة التي تجعل منها أفضل معلمة، مع خبرتها الطويلة في التعليم وطرائقه الحديثة إلا أن كل ذلك لم يعنها لتحظى بفرصة عمل ضمن المنطقة أو حتى في المناطق المجاورة التي يشترط

فيها أيضاً ألا ترتدي المعلمة الحجاب خوفاً على مشاعر الطلاب، فهم غير معتادين على رؤية مثل هذه المظاهر في مدارسهم.

أما في مرحلتي الجامعية فقد ارتديته ثانيةً وأنا مدركة تماماً قدرَ الإهانات التي سأتعرض لها طوال هذه المرحلة. عانيت جداً خلال السنوات الأربع، لكن رغم كل الصعاب جاهدت، والحمد لله أن كافأني ومنحني أجر صبري، لم تكن رحلتي الجامعية رحلة عادية، فقد كنت على اطلاع دائم بكل الكتب الثقافية في مجال علم الاجتماع، واقتنيت منها كل ما يزيد معرفتي بهذا التخصص، وكل ما يعني هذا المجال، قرأت الكثير وتعلمت أكثر وسعيت إلى كل ما يهمني حتى بتّ أحفظه عن ظهر قلب، أتوجه إلى الجامعة في بعض أيام الأسبوع وأيام الامتحانات، أدوّن إجابات الأسئلة كلها، وأعود أدراجي حاملة فرحتي وعزيمتي للامتحان القادم بهمة ونشاط، متشوقة لامتحان قادم أبدع فيه مرة أخرى وأنال أعلى الدرجات.

وهكذا تفوقت بالعزيمة والإصرار، تراودني فكرة فرحهم إن قصرت في بعض الدراسة، وهذا كان دافعي الأكبر، فأنا أريد أن أثبت لهم من تكون تلك السورية المهجرة، وما الذي تقدر على تحقيقه، فلمعت في الجامعة، وكنت القدوة لكل من حولي من الفتيات العربيات اللواتي يُهاجَمن فقط لكونهن من أصول عربية.

تابعت قافلة أحلامي مسيرها بعد التخرج الجامعي فليس النجاح الجامعي النهاية. التخرج الجامعي يعني أنك درست

وتجاوزت الاختبارات، ولكن النجاح الحقيقي هو أن تدرك كيف تجعل منك نتائج هذه الاختبارات إنساناً ينبض به ضمير حي وقلب يحيي فيك شعلة تحثك على مواصلة المسير.

أحد أحلامي في جو أوروبيّ أن أزرع بذوراً وأنتج منها غراساً تنمو فيما بعد أشجاراً تكون دعامة للمجتمع الإسلامي.

لم تسمح لي أجواء أوروبا التي تتشعب بها طحالب الأذية بالمسلمين بتحقيق حلمي الذي بات شبه مستحيل. حاولت جاهدة أن أبقي أهدافي خفية بعيدة المنال عمن قد يستهزئ بها أو يقلل من عزيمتي لها، ولأنني أملك شبكتي الخاصة من الأصدقاء السوريين على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، إضافة لوجود سعد والدتي بجانبي وتلك الطفلة الفتية التي قارب عمرها عشر سنوات، قررت أن أبدأ مشروعي الخاص لكن.. من أين أبدأ؟! ودائماً ما يترنح صدى مثل هذه الأسئلة في رأسي الفارغ من الأفكار تماماً، وطالما وقعت في حيرتي و ترددي.

ومن هنا انطلقت فكرة المنصة الإلكترونية للعلوم التي حملت اسم بذور، تسعى جاهدة لتجعل السوريين أشجاراً ثابتة ذات أفكار راسخة، ترعاهم بذوراً وغصوناً غضّة، فيحملون ثمار نتائجهم وينثرونها في كل أرجاء العالم؛ ليثبتوا فقط أن للسوريين عبق الياسمين، وأنهم أينما حطوا رحالهم سيزهرون.

# الرّستن (مسقط رأسي وقلبي)

تسللت في الليل بصحبة صديقي غيث بين بساتين الرستن ذات الغصون الغضة التي تعتليها أزهار اللوز نقية البياض، باتجاه حمص، إلى ساحة الساعة تحديداً حيث المظاهرات تشتعل مساءً، ولابد لنا كأحرار أن نكون جزءاً منها. لم نستطع أن نستقل سيارة أو حتى دراجة نارية، فقد لقينا من بطش عساكر الحاجز وأذاهم في المرات السابقة ما لقينا عندما أمسكوا بنا وانهالوا علينا ضرباً، سوطاً تلو الآخر، متلفظين بأبشع الإهانات والمسبات:

"رايح متتظاهر ولاا مو عاجبك سيادة الرئيس؟" ، "بدك حريّةةة يا كر؟!".

ولا يخلو الأمر من عبارات الكفر والدعوة إليها تحت التعذيب "مين ربك؟!...".

في كل مرة كنت أصل فيها الساعة يعتليني شعور الفخر أن أكون أحد هذه الأعداد الكثيرة التي تنادي بصوت واحد:

"يلا ارحل يا بشار". شعور يشبه عصفوراً صغيراً عاش في قفص الأسر سنين، وها هو الآن يرفرف بحرية، يزقزق بصوت عالٍ...

سجلت المظاهرة، وقمت ببثها إلى القنوات الإخبارية كما في كل مرة، لم أخش شيئاً، وغطت عدستي كل أرجاء المظاهرة ، وحاولتْ أن تظهر كل ذاك الحشد الذي يهتف بمطالبه وينشد الحرية.

التفت سيارات الأمن حولي وانهالوا علي بالضرب، لم يتركوا شبراً واحداً من جسدي إلا وألحقوه أذىً. أخذ أحدهم مني الهاتف المحمول وبدأ يفتشه، وحذف كل محتواه. كان قبض روحي عليّ أسهل من أن أرى تسجيل الحقائق يذهب سدىً. إنها محاولة قمع بكل ما تعنيه الكلمة، طمس لمعالم الحرية، وإجحاف بحق مظاهرة سلمية ما رُدَّ عليها إلا بالرصاص.

حُملت إلى السيارة مكبل الأيدي، مغمض العينين بقطعة قماش بنية أذكر رائحتها النتنة إلى الآن، أشبه برائحة المشروبات الكحولية التي يشربونها وتعج في أرجاء السجن إثر دخول أحد الجنود لنقلي من مكان لآخر.

دخلت غرفة التحقيق، وتلقيت العنف الذي تلقيته في الزنزانة ذاته. بقيت صامتاً، والمحقق يتجول حولي في الغرفة، هددني بالقتل أكثر من مرة بعد أن صوب سلاحه نحوي، لكنني بقيت صامتاً، تلك الغرفة المظلمة ذات الضوء الصغير

المتدلي من وسط سقفها هي قبر لكل حر مناضل. دخل آخر إلى الغرفة، سمعت آهاته وضابط يتحدث مع المحقق:

- ما جرم هذا أيضاً؟!
- يعمل مع المنظمات الإعلامية.
- أخرجوه بسرعة واحرصوا على ألا يتحدث بأمر تعذيبه، أيها الأغبياء، سحقاً لكم، اجعله يكتب وثيقة يقر بها على عدم المشاركة مجدداً في المظاهرات.
- حاضر سيدي.

وحالما أنهى حديثه حتى انهال عليّ باللكمات وكأنه يفرغ غضبه بي، وكأنني كيس الملاكمة الذي سيمرّن عضلاته من خلاله.

لم أشْكُ ألماً يومها، قررت الصمود والصبر، وكان ذلك يزيد من لؤمه ويزيد من قوة اللكمات. ضربني حتى شعرت بنفَسه كاد ينقطع. جلس على الكرسي، وراح يشعل سيجارته، وأخذ ينفخ من دخانها في وجهي. خاطبني يومها بكلام ما زلت أذكره، لم يكن كلاماً قبيحاً وليس ببذيء، بل قاسياً في الشعور، في العار الذي سيجلبه لي لو حصل أحد الخيارين أو كلاهما، يصعب عليّ التفكير بهما، فماذا لو حدثا؟!

"اسمع يا هذا". قال ذلك ببرود تام وهو يطفئ سيجارته اللعينة بجسدي النحيل، إما أن تقر بأنك من قام بهذه الفوضى وأنك المسؤول عنها ومن خطط لها أو إننا سنعتقل أختك وسنعذبها وستعترف حينها غصباً عنك بعد أن تراها معلقة من شعرها على الحائط تنال أشد العذاب، هنا، وأمام عينيك، وأنت

مكبل اليدين، ثم أطلق ضحكته الشريرة تلك التي ضحكها ظناً منه أنه فاز بمناه...

زاد صمتي استفزازه، وزاد غضبه، رغم أن النار تلتهب في صدري، ولو خرجت لأحرقت كل من حولي، لكنه هو الله ربي ألهمني الصبر والثبات. ضرب الكرسي غاضبا، واقترب مني، وأمسك بشعري، ورفع رأسي، وبدأ يصرخ في وجهي:

"تكلم أيها الجبان... لمَ لا تنطق؟ لم لا تتحدث وتعترف؟ هيا اعترف!".

لم أسطع النطق بحرف، إنهم يعلمون كل شيء، لا حاجة لسؤالي، رغم ذلك لم أعطهم جواباً يشفي ما في قلوبهم من غلٍّ وحقد، ولم أقرّ بشيء، وما قابلت كلامهم إلا بالصمت.

ضربني مجدداً وخرج ليدخل شخص آخر إلى الغرفة يهددني: أُمرنا بقتلك يا هذا، فهل من طلب أخير؟! ضحكت يومها لأنني كنت أعلم أنهم أجبن من أن يقتلوا إنساناً ما وجدوا بحوزته من جرم سوى بعض الصور والحقائق المسجلة، ولكن ضحكتي تلاشت عندما تذكرت أحداً قلقاً عليّ، وهمست بهدوء: أريد الاتصال بأختي.

لكني ما إن عدت إلى الزنزانة حتى شعرت برغبة عارمة بالبكاء، بكيت وكأن بي ينابيع انفجرت وما لها سوى عيوني منفذ.

بقيت أياماً أخرى لم أستطع عدها لكنها من أقسى أيام حياتي كلها، ما تعرضت لمثل هذه الإهانة كل عمري، بتّ

أنتظر اللحظة التي أخرج فيها من ظلمة سجن إلى نور لن أنعم به طويلاً، فما إن تلمحه عيني حتى تفقده في اللحظة ذاتها، ثم ما ألبث في هذي الأرض طويلاً حتى أغرد في جنة عرضها السموات والأرض. ناداني أحدهم: "سند عبد الحي"، لم أدرك مصيري وقتها، ما كانوا ليخاطبوني باسمي من قبل، أنا سند الذي طالما عرفت لديهم بالسجين ٢٦٧، ذلك الرقم اللعين الذي كان يرافقني طوال أيامي في هذا السجن حتى كدت أنسى اسمي لكثرة ما نادوني به.

شممت رائحة البارود من حولي، وسمعت تلك الأصوات الخشنة التي قامت بتعذيبي مدة سجني، صوت ذلك المحقق الوغد الذي ضربني حتى الهلاك، كما سمعت صوتاً أعرفه وأحفظه... أحقاً ما أسمعه أم إنني أتوهم؟!

هذا مالكم... هلّا أزلتم الغطاء عن عينيه!

لا، أنا لا أتوهم. هذا صوت صديقي غيث، جاء يخلصني. في مثل هذه المواقف تعرف الرجال، عندما تحتاجهم يلبون نداء قلبك دون أن تستغيث، إن الصديق الحقيقي من يسندك ويسعدك، ولا يتخلى عنك. ما كان غيث ليجمع المال، ولا أن يعرّض نفسه للخطر لأجلي، إنما هي روح الألفة التي جمعتنا مذ نعومة أظفارنا، إنها روح الأخوة التي تربّينا عليها معاً، إنها الأحلام والأيام والسنون التي قضيناها نغمر بعضنا بها دفئاً وحباً ونعيماً. هكذا هم الأصدقاء يضمدون جراحك دون أن تطلب، يسمعون أنين قلبك المكتوم ليس لأنك صرخت به بل لأن إحساسهم به قد وصل دون مبادرة منك. الصداقة

باختصار أن يأكل قلبك الألم فلا تجد من يقدم قلبه على طبق من ذهب بدلاً من قلبك إلا صديقك... هو من سيفعلها لأجلك.

آخر ما سمعته من صوت غيث: لا تخف، حان وقت الرحيل! حدث بعد ذلك تغيير جذري في حياتي، لم أعد "سنداً" ذاك الذي يهتم بنقل الصورة للقنوات الإخبارية، لم يعد الإعلام رغبة لي، وبتّ أبغضه...

رحت أبغي شيئاً أسمى من ذلك كله، واخترت أن يكون ربيع عمري مزامناً لخريف هذا الوطن!.

التحقت بصفوف الأحرار في مدينتي، ولأنني مجاهد متمرس، رحت أُعِينهم في كل ما يحتاجونه من أمور في حالة الحرب التي أُعلنت علينا في المدينة، بدءاً من إغاثة الناس المتضررين من القصف المدفعي على مدار الساعة الذي لم يكن يهدأ، إضافة لإسعاف إخوتي من الجرحى، هؤلاء الشبان مثلي رفضوا الذل والظلم، وراحوا يطلقون من حناجرهم نداءً مطالباً بالحرية، يصدح في شوارع حمص وريفها، في كل مظاهرة كانوا يتعرضون للضرب، للهلع من رصاص البندقيات، ولألم الفقد الذي رافقهم طوال أيامهم الباقية؛ فقرروا ألّا يبقوا مكتوفي الأيدي حالهم حال أي ثوريّ حر التحق بالكتائب الحرة.

الثورة الشعبية التي بدأت بهتاف المتظاهرين في حمص ودرعا وغيرها من المدن السورية الحرة تحولت إلى العمل المسلح لردع الأذى، حيث بدأ انشقاق ضباط في الجيش اعتراضاً على قمع المظاهرات، ورفضاً لأوامر إطلاق

الرصاص على المتظاهرين، فلا يمكن لصوت شجاع حر أن يكن أو يهدأ في صدر صاحبه دون أن يفصح عنه، ويحرره من صدر جسده البالي الذي أنهكه الصمت سنين وسنين، فما كان له إلا أن يسهم في تشكيلات متعددة تكون ممثلة للمعارضة السورية المسلحة.

بعد سنين حصار وظلم لم ينل فيها هذا النظام المجرم من عزيمة الأحرار وإصرارهم، بل زادهم قوة على قوة وإيماناً بمبادئ ثورتهم المباركة. قرروا حينها توحيد هذا الجسد، وانضمت كل الكتائب معاً للاتحاد في جسم عسكري واحد تحت اسم "مجموعة التنسيق في حمص"، وذلك للدفاع عن أنفسهم أولاً، ولإكمال العمليات الحربية التي أملوا منها أن تسهم في ضعف سلطة هذا الحاكم المستبد (بشار) الأسد، ومقاومة الاحتلال الإيراني والروسي الذي استنجد به لمساعدته في إبادة الثوار والناس الأبرياء. لقد رهنوا أنفسهم في أي وقت للانضمام لأي مشروع أوسع للمضي قدماً في طريق ثورة الحرية والكرامة، حيث ضمت كتيبتهم تلك مئة ضابط منشق وأحرار من حمص ممن ما هانت عليهم أظفار حمزة، ولا قلوب الأمهات اللواتي فقدن فلذة أكبادهن، ذنبهم أن هزوا عرش سلطته بعلبة بخاخ كتبوا بها على الجدران "ارحل".

لما احتدم القتال في الجبهات ما كان من ثوارنا الأحرار إلا أن ردوا على القصف الذي تعرضوا له في المناطق المحررة بريف حمص الشمالي بقتل عدد من عناصر الأسد وجرح

آخرين. شنت يومها أربع غارات جوية على مدينة تلبيسة ومحيطها بالريف الشمالي، وألحقت الضرر بالكثير من المزارع المحيطة بالرستن، إضافة لقذائف الهاون والدبابات التي زادت في أعداد شهدائنا الأبرار بعد أن اتُّفق على "خفض التوتر" من قبل المشاركين في مفاوضات "استانة6"، فخرقوا الاتفاق.

من هنا انطلقت رحلتي أنا، رحلة من نوع خاص قررت فيها أن أسلك طريق الجنة مجاهداً بجسدي هذا الذي لا أملك غيره. ودّعت أصدقائي بحرارة قبل أن ألبس الحزام المحمل بعدة التفجيرات اللازمة لقتل أكبر عدد من عناصر الحاجز العسكري الأقرب لنا، ولم أقوَ على وداع أختي وابنتها الصغيرة، آخر ما تبقى لي من عائلتي، فقد خفت إن ودعتهم أن يغلبني الضعف وأتراجع عما كنت مقدماً عليه، وها أنا أكتب لهما رسالتي الأخيرة علّها تكون سبباً في مواساة ألم الفقد الذي سيحل بهما من بعدي:

أحمدُ الله أن استجاب دعائي، وها أنا الآن أكتب لكِ يا أختي رسالتي الأخيرة، ها هي أمنيتي قد جعلها ربي حقاً. الآن، فقط الآن يمكن لكِ الاطمئنان عني، أنا الآن بين يدي الله، سيكرمني ويدخلني جنانه، فلا تخافي ولا تحزني، أوصيكِ يا "خالو آية" بأمك وبرها، إنكِ آخر من تبقى لها منا، ها أنا الآن أستودعكم ربي، مَن لا تضيع عنده الودائع، وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلم.

# حمص (عاصمة الثورة وأم الساروت)

منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد إلى العصر العباسي الأول
حتى عهد العثمانيين مروراً بالسلاجقة والأيوبيين والمماليك،
شهدت حمص على التاريخ كله ووهبها منه ما يجعلها حاضرة

بكل جزء منها تعبق بعطره ليطغى ذكرها في كل سورية، من باديتها إلى مركز العاصمة حيث تتربع الساعة الشامخة بأحجارها البيضاء المتناغمة مع السوداء في مشهد يعجز اللسان عن وصفه، أقل ما يقال عنه أنه سحر جنة الرحمن قد أودع قطعة منها في حمص، ولا يمكن لحمص أن تُذكر دون أن يتسلل إلى حديثي هذا جامع ابن الوليد الذي يضم شتات الجليل "خالد بن الوليد"، إذ إنّ بناء الجامع يعود إلى القرن السابع الهجري، أما عن البناء الحالي فهو يعود إلى العهد العثماني أيام السلطان عبد الحميد الثاني، حيث أقاموه مرة أخرى فوق أنقاض القديم، وأودعوا في بنائه كل تفاصيل الإسلام الساحرة حيث الآيات القرآنية في كل زاوية من زواياه.

أما اليوم فمسجدنا محاصر من قبل الميليشيات الإيرانية والروسية بعد أن انفجر الشعب الحمصي في وجه الطاغية بشار رفضاً للأفعال التعسفية المرتكبة بحق أهل درعا وأطفالها، لتكون حمص، عاصمة الثورة، هي المدينة الثانية التي أعلنت ثورتها جهراً خارجة عن صمتها المكبوت منذ زمن بمظاهرات سلمية عمت أرجاء أحياء حمص، ومنها الخالدية التي لقي فيها أكثر من ألف شخص حتفهم، في مجزرة جاءت مصادِفةً للذكرى الثلاثين لمجزرة حماة عام 1982م، من قبل الجيش السوري، الذي شن حملة عسكرية لكبت حشود الناس المطالبين بإسقاط النظام.

هنا بات التظاهر شيئاً أساسياً في كل جمعة، حيث تمتلئ أرجاء حمص بالمتظاهرين الذين يهتفون بصوت واحد لمطلب واحد: "الشعب يريد إسقاط النظام". هذا النظام الفاسد الذي أشبع غروره باحتكار المناصب العالية في الدولة لنفسه ولأقاربه، هذا النظام الذي همش إدلب وريفها ونفى أهلها من الوجود، لا لذنب يذكر، وجعلها مدينة منسية، طغى الظلام فيها أكثر من أربعين عاماً، وها هي اليوم أشرقت بنور الحرية بعد كل ذاك الرقود.

لم تثنِ قوات الأمن السورية عزيمة المتظاهرين وإصرارهم في "ساحة الحرية"، حيث تحلّقوا حول الساعة، ومع كل محاولات فض الاعتصام التي استخدمت نهج القوة والسلاح كمحاولة لاحتواء المظاهرات، إلا أنها باءت بالفشل.

وقع الإعلام السوري في ورطة الرد على ما بدأ يظهر في شاشات التلفاز حول هذه الاعتصامات، فادّعى أن عصابات إرهابية مسلحة تروع المواطنين في حمص، لهذا قام الجيش السوري المدعوم بالأمن المركزي والشبيحة باقتحام المدينة ومحاصرة أحيائها في السادس من حزيران 2011م، ما أدى لوقوع المزيد من الضحايا الذين فاق عددهم خمسة آلاف شهيد، ناهيك عن تزوير المظاهرات، ودبلجة الصوت الذي تغير لصيحات تهتف بالفداء لروح بشار الأسد، بعد أن كانت الجموع تهتف لرحيله، ليرتفع علم الانتداب الأخضر في وجه الطاغية والإعلام دليلا قاطعا على صدق الرجال والنساء في ساحات التظاهر، معلناً كذب هذا الإعلام الفاشل. ولأن

المظاهرات احتاجت لصوت حرٍ يصدح بها كان لصوت "عبد الباسط الساروت" أثرٌ خالدٌ فيها، يغرد كبلبل أجمل أناشيد الثورة التي باتت اليوم نشيداً رسمياً يرمز للثورة السورية بكل أحداثها، ليلقّب فيما بعد بحارس الثورة وبلبلها نسبة لعمله كحارس في نادي الكرامة لكرة القدم.

ولد بطلنا وبطل هذه الأمة صبيحة يوم الجمعة في يوم شتوي، في أول أيام سنة 1991م، من أم جولانية وأب مناضل في سبيل الحياة وسط حي البياضة الذي تتنوع فيه القبائل العربية، في بيت صغير يملؤه دفء، وبساطة في كل زاوية منه، وقناعة بقليل من الحلال تُغني عن قنطار ذهب.

عمل مع والده بجمع قطع الحديد المستعمل لبيعها، إضافة لنقل أحجار البناء بعد أن درس الابتدائية في مدرسة الشهيد "عبد الرحمن شتور" حتى الصف التاسع، ثم ترك المدرسة لحبه كرة القدم، والتحق بنادي الكرامة الحمصي كحارس مرمى، ثم أصبح حارس فريق شباب سورية. وهنا انطلق في شغفه نحو كرة القدم، براتب زهيد لا يسد الرمق. ما إن اشتعلت المظاهرات في حمص حتى سارع للالتحاق بها مثل كل الثوار الأحرار الذين قرروا أن يكون لهم بصمة في هذه الثورة المباركة عازمين على تلبية نداء الحرية حتى تحقيق مطالبهم مع استمرار الأسد وأعوانه بصد انتفاضاتهم السلمية التي كثر بها تمزيق صوره المعلقة في الشوارع، إضافة للهجوم على تمثال والده حتى إيقاعه أرضاً.

ها هي الفيديوهات التي نقلتها الجزيرة من اثني عشر عاماً توثيقاً للمظاهرات، تثبت اليوم صورة عبد الباسط شامخاً على أكتاف المتظاهرين، يهتف بكل ما أوتي من عزم ويغرد في حبور:

"جنّوا جنوا البعثية... لما طلبنا الحرية"

"زلزل عرش الشبيحة للأعالي"

"طيّب إذا منرجع... توعدنا تسمعنا؟! ماشي يلا اسمع هي مطالبنا".

نداء يشعرك للحظة أن كل ما فيك يريد أن ينتفض مراراً وتكراراً كلما سمعت عن الانتهاكات التي تعرض لها الشعب السوري عامة، في كل بقاعه، بدءاً من ردع المظاهرات بالسلاح، وهم شعب عُزّل، إلى قصف الطيران الحربي بالصواريخ الارتجاجية والقنابل العنقودية، مرورا بالقصف المدفعي بالراجمات والصواريخ الحربية، دون أن ننسى غاز الكيماوي والسارين، متبعين سياسة الأرض المحروقة. أما في حمص فقد اتخذوا الحصار نهجاً قبل أن يقضوا على المدينة ويجبروا أهلها على التهجير قسراً تاركين خلفهم أحلامهم مع بقايا بيت، مكتفين ببعض الذكريات التي رافقتهم إلى إدلب.

بعد حصار ثلاث سنوات طغى فيها الأسى والألم على حي البياضة، حيث مُنع عنهم الطعام والشراب ودخول الوقود بذريعة أن في الحي إرهابيين عاثوا فساداً وإجراماً بالسلاح ليدمروا المدينة ويفتكوا بالناس، وفي الحقيقة ما هم إلا شعب

انتفض في وجه حاكمه، لجأ للدفاع عن نفسه بنفسه دون انتظار من هيئة الأمم المتحدة لفك الحصار، كما رفض دخول المساعدات الإغاثية منهم، إذ باتت شفقة يتصدقون بها، لكنهم، وللأسف، أخذوا القصة من باب آخر متغاضين عن أن القضية منذ البداية هي قضية ثورة ضد الظلم الذي ناصرته روسيا فيما بعد لتفسح المجال للإجرام أكثر بأن يظهر في صورة ردع يزورها الإعلام السوري.

عند ذلك اضطر الحماصنة للانسحاب من مدينتهم في الحافلات بدلاً من الموت جوعاً في حصار لا يعلم أحد متى ينتهي، ولم يجدوا سوى الرحيل حلاً، هاربين من حياة قاسية عانوا فيها ما عانوه، باحثين عن فرصة أخرى للحياة بعيداً عن حكم الطاغية بشار وأعوانه، آملين ببلد مستقر آمن في المستقبل، يقوده أبناؤهم الأحرار الذين تربّوا بعيداً عن مبادئ حزب البعث.

كان عبد الباسط ممن ترك أطلال مدينته؛ لأنه يدرك أن الأيام القادمة ستحمل الكثير من الأماني مؤكداً مبادئ الثورة في كل موقف ثوري يشهد له، محدثاً أبناء شعبه الأحرار بضرورة استمرار الثورة، رغماً عن كل الذين لم يساندوها، بل حاربوها؛ فهم أولاً وأخيراً أبناء هذه الثورة، وهم مَن سينهض بسورية الجديدة، موصياً إياهم بأن هذه الثورة عليها أن تستمر سواء بوجوده أو بعد وفاته، فلا يحزنوا ولا يقروا عيناً بفقده، منشداً لكل الشهداء الذين سبقوه بأنشودته الشهيرة "يا يما بثوب جديد... زفيني جيتك شهيد"، التي رافقتها لاحقاً

أنشودة تستقبل رمضان قبل مفارقته الحياة بمدة قصيرة، مستشهداً في ريف حماة الشمالي بعد أن عمل مع الأحرار لحماية الحدود من هجوم النظام المتكرر على أحياء مدن الريف الشمالي الذي بات عرضة للاقتحام، في كل مرة تتزاحم الطائرات في سمائه ثم يسقط ويسقط معه جسد عبد الباسط، نحتسبه شهيداً حراً عنده الله في قبر يضم جثمانه الطاهر الذي شيعه آلاف السوريين من مناطق مختلفة، من تركيا وسورية، مودّعيه بحزن بالغ وأسى عارم.

رحل عبد الباسط ولم يرحل أثره فينا، بقي خالداً في أناشيده الثورية، وفيديوهاته التي تملأ اليوتيوب.

هو رجل طيب يحب الأطفال ويداعبهم قبل أن يكون رجل حرب، هو ابن امرأة حرة فقدت أبناءها ومازالت صامدة صابرة محتسبة إياهم شهداء عند الله.

كان فخر إدلب أن تضم قبره، وأن ترتوي حماة بدمائه الزكية، هناك حيث تنمو شقائق النعمان كل عام في الربيع ببتلاتها الحمراء لتحكي أنها سقيت بدم طاهر، كل قطرة منه هي زهرة سيفوح عطرها مذكراً إيانا بحب عبد الباسط للثورة وقصة نضاله فيها.

# الفهرس


- الإهداء.....٣
- مقدمة.....٥
- درعا (بين لذة البداية وألم الختام).....٧
- إدلب ( لا نعرف معنى المستحيل).....١٥
- حماة (عجوز في الغابرين) .....٢٥
- حلب ( جندي مجهول الهوية) .....٣٥
- دمشق ( بين شوارع الغربة).....٤٣
- ريف دمشق ( حدث ملطخ بالدم) .....٥٣
- دير الزور ( في حب الخير للغير).....٦٥

- الرقة ( درع الفرات المناضل)
.....٧٣
- الحسكة ( مخاض أمل)..... ٨١
- طرطوس ( ابنة انترادوس)
.....٨٩
- الرستن (مسقط رأسي وقلبي) .....٩٧
- حمص ( عاصمة الثورة و أم الساروت) .....١٠٧
- الفهرس .....١١٥